التلاشي داخل الجرح

مجموعة قصصية

عزة مصطفى

الطبعة الأولى

2020م- 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
ديوان العرب
حقوق حلمك

عنـــوان الكتاب: التلاشي داخل الجرح

اســـم المـؤلف: عزة مصطفى

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــداع: 21599 / 2020

الترقيـم الدولي: 3 - 94 - 6830 - 977 – 978

تـصـميـم الغلاف: د. محمد وجيه

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: د. محمد وجيه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقـوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشـر الكلـي أو الجزئـي، أو نسـخه أو تصـويره أو ترجمتـه أو الاقتبـاس منـه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

التلاشي داخل الجرح

مجموعة قصصية

عزة مصطفى

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

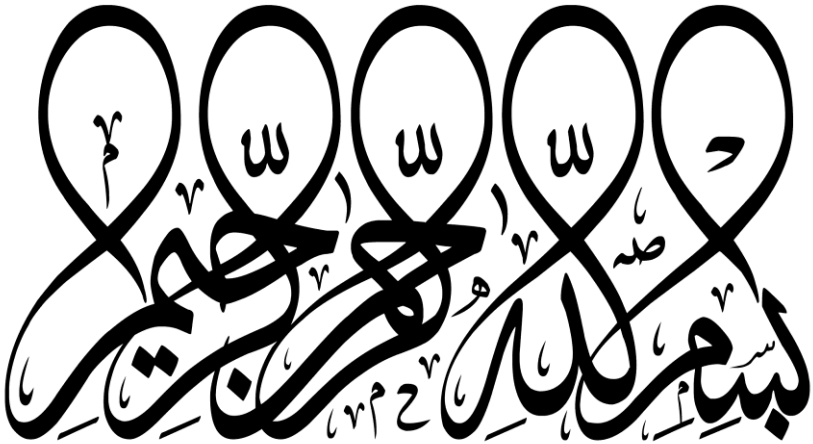
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

لكل امرأة عاشت وعانت وتحملت الكثير من الجراح .....

إليكِ بعضاً منكِ.....

عزة مصطفى

****

انتحار الحلوى القطنية

روحك المتعبة لم يشغلها اكتمالك.. نموك الذي فاق أقرانك لم يجلب لك سوى الذبح على أبواب الرغبات المتصابية.. ضاعت من عقلك كل الأحلام الأنثوية بفارس الأحلام.. تلاشى اشتهاء الأمومة وسحر الالتقاء الأول.

طفلة كنت تتدلى ضفيرتك المخملية فوق ظهرك الغض، تمسكين نقودك المعدنية بحرص كما علمتك أمك كمن يمسكك بكنز ثمين، تتوجهين إلى دكان عم سمير ذلك الدكان القديم لصاحبه العجوز ذي السبعين خريفاً، لم تسلمي من نظراته الجائعة، كلما ذهبت إليه لابتياع الحلوى التي تحبينها.. لكنها براءتك الطفولية لم تعرف بعد نظرة الاشتهاء في عيون الذئاب..

تتقدمين بمرح:

-عمو أريد الحلوى القطنية.

-تعالي يابْنتي خذيها من فوق الرف الخشبي لأني مريض.

تطأ قدماك الدكان ذا الرائحة الكريهة؛ رائحة عم سمير مختلطة بروائح الجبن القديم والمخللات العفنة، يغلق الباب خلفك بعد أن يتلصص إلى الطريق الخاوي، يقترب منك يعطيك كل الحلوى تفرحين بما تمتلئ به كفاك الصغيرتان بينما هو يعبث داخل ملابسك، يلجمك الخجل والخوف لم تعرفي لغة الصراخ والألم من قبل في رحلة عمرك القصيرة، وهو يلقنك

كيف تئنين في صمت وتتوجعين في سكون، تسقط من يدك العملات المعدنية وكل قطع الحلوى تختلط بالتراب، يكسو وجهك كل معاني الرعب الأسطورية بينما قطار أنفاسه يلهث في محطته الأخيرة.. يمسح دماءك بمنديله القذر ويهددك بالقتل إن بحت بالسر.

صغيرة كنت ذات سنوات تسع تلملمين ملابسك، وتتركين هناك القطع المعدنية -تلك التي علمتك أمك كيف تمسكينها بحرص -والحلوى القطنية التي كنت تحبينها وقطرات دمائك ومعهم طفولتك، يتسع ما بين ساقيك لا تعرفين كيف سيكون طريق العودة مؤلم.. وشاق.. وطويل رغم قرب البيت.

تتسللين إلى حجرتك كي لا يراك أحد، تتدثرين بالغطاء حتى وجهك، تنهمر دموعك على وجنتيك -التي كانت وردية منذ لحظات مضت -ومنها إلى الوسادة بشهقات مكتومة فيلقى النوم سهامه عليك، كأن النوم هو الحل الوحيد للهروب من الألم.. نمت كثيراً.. عميقاً.. طويلاً.. نمت يوماً بليلته.

وعندما استيقظت وجدت نفسك بلا طفولة بلا اشتهاء لأي حلوى، كرهت كل الرجال حتى أبيك وأخيك كنت تلمحين في وجوهم نظرات جائعة لأطفال أخرى.

تنزوين في وحدتك.. تبتعدين عن رفيقاتك.. أخوتك.. ألعابك.. تنسحبين من الشارع.. من المدرسة.. من الناس.. تحبسين نفسك داخل حجرتك بل داخل جسدك، بينما أمك تعد لك جلسة "زار" سرية ليخرج ذلك الجني الذي يلبسك.

****

دقات الساعة

دقت الساعة السادسة

لازالت تتزين منذ الصباح، تبالغ في وضع مساحيق التجميل، تداري آثار حبة قديمة هنا واختلاف في لون الجلد هناك، تنظر إلى عينيها تفكر هل تبدو جميلة كما ينبغي أم تغير لون الظلال!

دقت الساعة السابعة

انتهت من وضع المساحيق، تنظر إلى نفسها بعد كل الجهد الذي بذلته تبدو كفتاة جميلة، ذهبت إلى حجرة الاستقبال لتطمئن على نظافتها، جهزت الأكواب للعصير المعد مسبقاً، لم يتبقَ سوى دقائق قليلة ويأتي فكما عرفته في العمل فهو دقيق في مواعيده لا يتأخر أبداً، وقد أخبرها أنه قادم في تمام الساعة الثامنة ليقابل الوالد تسأل نفسها بقلق:

-ماذا لو لم يكن يقصد أمر الزواج؟

تشيح الفكرة عن رأسها وتبتسم: ماذا عساه يريد من أبي سوى ذلك!

دقت الساعة الثامنة

تتسارع دقات قلبها.. تكاد أنفاسها تتوقف وهي تقف خلف الباب في انتظار من يرن الجرس فتفتح له، لحظات مضت كأنها دهر.. نظرت إلى

الساعة العقارب تمضي والباب لا يدق، تمر نصف ساعة وهي لازالت تقف تفكر في سبب تأخره:

-ربما ضل عن البيت ولازال يبحث عنه!

تخرج إلى الشرفة لعلها تعثر عليه تائه وسط الشارع.. تلقي بعينها يميناً ويساراً فترى الشارع خاوياً.. يعتصر قلبها ألماً وتتذكر أنها أفضت لزميلتها المقربة في العمل بالسر.

تتذكر تلك الليلة البعيدة كأنها ليلة أمس، كانت تلعب في الحديقة بصحبة أبيها وأمها، ثم أصابتها بلية في عينها من مسدس لعبة لأحد الأشقياء الذين يعبثون بأزهار الحديقة، فسال الدم على وجهها وصبغ فستان العيد بالأحمر، بكى أبيها لأنه لم يدركها قبل انطفاء عينها اليمنى.. وعندما أجروا لها جراحة وركبوا العين الزجاجية نبهتها أمها ألا تخبر أحداً أيّ أحد، لكنها فضفضت مع زميلاتها في العمل والتي بدورها لم تقصر في إخبار الجميع، هذا ما لمسته من الجفاء الذي يتعاملون به معها.

دقت الساعة التاسعة

سمعت صوت الهاتف يشدو بتلك النغمة المميزة التي خصصتها له بعد حديثه معها، عاد قلبها يدق بعدما سمعته يعتذر عن التأخير وهو في الطريق إليهم، تستعيد ثقتها في نفسها تصلح ما فسد من المساحيق، تصب العصير في الأكواب، وأخيراً تسمع طرق على الباب تندفع لتفتحه، تجده

يقف وحده أمام الباب فتعتقد أنه ربما جاء للتعارف على الأسرة وسيحضر أسرته في المرة القادمة.

يستقبله أبيها بترحاب شديد... يجلس في هدوء ويتنحنح:

-لقد جئت أطلب منك طلب وأرجو من الله أن يوفقنا فيه.

-تفضل يا بني.

-سمعت أن لديكم شقة خاوية للإيجارفجئت كي أراها ونتفق.

الأب يُذهل ويصاب بالوجوم، ثم ينتبه على صوت ابنته وهي تقدم العصير فيرد في حزم:

-كان لدينا شقة خاوية لكن سبقك ابن أخي وأجرها اليوم.

يعتذر وينصرف بهدوء.. تدخل حجرتها.. تقف أمام المرآة تنظر إلى وجهها الذي تحول إلى خريطة للألم بعد أن لطخته دموع العين الوحيدة الباقية وهي تفكر في ابن عمها الذي رفضته العام الماضي لفشله في الحصول على عمل.

****

الحقيقة تحت المطر

أمام بوابة الجامعة العتيقة كانت تنتظره، تحتضن معطفها الأسود وتستمتع بلفحات البرد وقطرات المطر التي تتهادى بنعومة على وجنتيها، فمنذ هاتفها وأخبرها إنه في طريقه إليها ليحدد موعد الزفاف وهي تثمل في الفرحة.. أنهت عملها سريعاً ووقفت أمام البوابة الكبيرة تنتظره.. تتلمس خاتم الخطوبة في إصبع يدها اليمنى، تشعر بنشوة انتصار خفية تتراقص لها روحها العذبة، صافية عيناها المترامية في جنبات الطريق تهمهم بطفولة: من أي طريق سيجيئ؟

لا يهم مادام قادماً عليّ أن أنتظر من سيدفئ جدران وحدتي، وينزع عن قلبي أردية الحزن التي حاوطتني بموت أبي.

يشتد المطر فتختبئ تحت جذع شجرة عجوز تقبع منذ زمن قديم في تلك البقعة من الكرة الأرضية حيث شهدت لقاءهما الأول؛ كانت تقف في انتظار صديقة لها حين سألها صدفة في أمور تخص عملها كموظفة شؤون طلبة داخل الكلية التي يستكمل فيها دراسته العليا، شعرت أن صوته يتغلغل في أعماق نفسها يناديها من شرودها الدائم:

-أن انتبهي هناك على الحافة من يريد الاقتحام.

أذنت له أن يقتحم صمتها، ودار حديث بينهما انتهى بخطبتها إليه، تتأمل الشقوق التي تتخلل جذع الشجرة، فتخرج من حقيبتها مفتاح صدئ وتحفر حروف اسمه على تلك القشرة الصلبة، ثم تبتعد لترى ما صنعته فيتعمق شعورها بالفقد والتلاشي.

يتسرب القلق إلى نفسها فتمسك بالهاتف تبحث عن نمرته بيد متعثرة.. طال الرنين حتى انتهى برد مصحوب بصوت مذياع قريب:

-الشارع مزدحم وأنا في طريقي إليك.

ذلك الهدوء الذي يسكن صوته يفضح برود المشاعر وانطفاء الشوق.. شغلت نفسها بالنظر إلى قطرات المطر المتساقطة فوق الرصيف، والإسفلت الذي عادت إليه لمعته الأولى، وأوراق الأشجار التي صارت تتلألأ كطفل وليد اغتسل لتوه منذ خروجه من بطن أمه.

مضت ساعتان في الانتظار تسلل البرد إلى أطرافها، وشعرت بالصقيع يحاصر قلبها، تلفحت بالمعطف الأسود في محاولة يائسة لتلمس الدفء بين طياته.. رن الهاتف نظرت إليه كاستغاثة أخيرة.. كان صوته الهادئ يدوي في أذنها كقرع طبول الحرب يأمرها بالانتظار.. ردت بانكسار:

-لقد تعبت.

بعدها تذكرت أنه كان يحدثها عن تجاربه العديدة في مجال علم النفس وأبحاثه عن السلوكيات السلبية وأثرها في تدمير الشخصية.. لاحت لها الحقيقة إنها مجرد جزء من أبحاثه الغامضة.. سرى الصقيع إلى رأسها

فانتفض جسدها، تحسست الخاتم ودنت منها نظرة أخيرة على الطريق الذي كان خاوياً من المارة والسيارات، ثم استدارت لتعود بعد أن خلعت الخاتم وألقته في أعماق الحقيبة المزدحمة بالأغراض القديمة.

****

التلاشي داخل الجرح

كانت تعد الطعام عندما جرحتها السكين وسقطت قطرات دمائها على الأرض.. جرح عميق بعمق تعب يومها الذي جعلها تنهي كل شيء بسرعة جنونية قبل عودته لاهثاً على الطعام، أمسكت اليد المجروحة باليد الأخرى كي توقف النزيف، جلست على الأرض من شدة الألم تنظر بصمت إلى بقعة دمها فتجدها تتشكل فتاة تجري بصخب طفوليّ تحتضن دميتها الوحيدة وتغني لها كما كانت جدتها تغني لأخيها الصغير عندما ينام:

-ننا نام .. ننا نام .. وأنا أجبلك جوزين حمام.

الحمام الذي وقف على أبواب قلبها وراودها عن عشقه، عادت الطفلة تتلاشى داخل بقعة الدم لتتشكل منها فتاة عشرينية ترتدي فستان زفاف وتعانق يده بفرحة طائر مهاجر يعود إلى وطنه.. لكنه لم يكن بقدر الوطن الذي يحتويها على أرضه.. عندما رأته لأول مرة ظنته صخري كالجبل يتحمل أثقال الزمن.. لم تكن تعرف إنه يحافظ على هدوئه أمامها بحبات المهدئ التى تتضاعف يوماً بعد يوم للدرجة والتي لم يعد لها أدنى تأثير عليه.

تلملم فستانها الأبيض وتعود إلى البقعة لتخرج امرأة ثلاثينية قادمة من العمل بعجالة لتنهي الطعام قبل عودته ثائراً بلا سبب، ثم تستسلم باقي

اليوم للصداع الذي يفجر رأسها بالألم ولا تهزمه سوى بالاستسلام للنوم والمزيد من النوم، تمسك برأسها وتعود إلى بقعة الدم تقف في منتصفها، فتنهض تقترب منها تمد كفها لتصافحها تاركة يدها المجروحة تعاود النزف ثم تتلاشى معها داخل الجرح.

****

حين توقف القطار

الطريق طويل سفر غير مرتب، أستقلُ القطار، ينتقل من محطة إلى أخرى بلا توقف، البداية جميلة أستمتع بالنظر من النافذة على الأشجار والعواميد الممتدة بطول الطريق.. أطالع الشمس في الصباح والقمر في المساء.. تعبر وجوه الناس من أمامي ولا أتذكرها.. مرآتي الصغيرة لا تفارقني.. أرى صورتي فيها.. أعدل ما أفسده السفر فأنفض الغبار من فوق ملابسي وأهندم شعري وأمسح بعض الدمعات التي انحدرت على غفلة مني؛ عندما تركتني أمي في محطة وأبي في محطة أخرى، عندما تحطمت مزهريتي وكبر صغيري وركض بعيداً خلف أحلامه الكبيرة، وحين واجهت الخيانة لأول مرة وحين داهمني المرض بلا مقدمات...

محطة وراء محطة في كل محطة أترك بعضاً مني والقطار يمضي بلا توقف، وبغتةً وجدت نفسي في طريقي إلى الخمسين؛ الشعر أبيض.. الأسنان مفقودة.. النظر مغبش.. وتجاعيد هنا وهناك.

القطار يعبر صحروات وفضاءات فارغة، أنظر من خلف النافذة؛ فأجد البذور التي تركتها على جانبي الطريق كبرت وأثمرت، لكن يدي لا تستطيع الوصول إلى الثمار، والقطار لا يتوقف، ألمح كرات ثلجية تتدحرج

فوق القضبان فعرفت أن القطار سيتوقف قريباً لابد أن يتوقف قبل أن يصطدم بجبال الثلج لكن لا مانع من صبغ شعري بالأحمر أو الاستعانة بأسنان صناعية ولن يضر استخدام النظارة الطبية، ومعالجة التجاعيد ببعض المرطبات، أشعر بشيء من الرضا فأنظر في المرآة؛ لازالت الأسنان تهتز كلما مضغت الطعام والتجاعيد تزداد كل يوم واللون الأحمر يسحف للخلف تاركاً السيادة للشيب.

وفجأة يتوقف القطار فتهتز المرآة وتسقط من يدي.. تتكسر.. تتفتت، أنظر حولي فلا أجد الطريق.. تختفي مقاعد المسافرين من جانبي، يهاجمني الفزع أبحث عن السائق لأسأله " لماذا توقفت هنا" فيرد بفتور " عادة يتوقف القطار فى المحطة قبل الأخيرة " أصرخ " لماذا " فيسقط طقم أسناني وأفقد نظارتي بينما اللون الأبيض يواصل طريقه إلى النهاية.

أجد نفسي وحيدة؛ تزوج الأبناء ورحل الرفيق وافترق الأصدقاء، أرتدي عباءة العمر وأتجه نحو الباب، كل من أصادفهم أولادي أحفادي تلميذاتي يفسحون لي الطريق حتى أبصر النور على مرمى البصر وأهبط من القطار.

****

القنطرة

ما أصعبه يوم! ليس عادياً أو تكرارياً ككل الأيام التي مضت، كان حافلاً بكل الأحداث التي سمعنا عنها منذ آلاف السنين.. الطريق شاق وطويل، قيل لنا اعبروا ففي العبور السكينة والخلود، الحشود كثيرة لكن لا يوجد من يدفع الآخر فلكل منا مكانه الذي يسير فيه، وها هم يعبرون أمامي فأرى من يسقط في قاع سحيق وأرى من يعبر كبرق عابر، وجلت خطواتي كيف سأجتاز ذلك الممر الدقيق؟ كيف سأصل للجهة الأخرى بسلام؟ ليس أمامي مفر من ذلك انتهى وقت الاختيار يجب أن أعبر.

أتقدم ما أن أضع قدمي على أول الطريق حتى أجد نفسي في الجهة الأخرى لا أدري كيف حدث ذلك؛ هنا تنتهي حدود العقل المحدود ويتوقف آفاق الخيال الواسع، تغمرني الفرحة نجوت.. نجوت، أتقدم بسرعة أطرق الأبواب لا يُفتح لي، أزيد الطرق بخوف ألا يكون لي مكان بالداخل. يُقال لي "انتظري هناك عند القنطرة".

يراودني إحساس بالضياع كمن فقد نتيجة اختباره، لم أكن من ذلك النوع الذي يباغض ويشاحن، لم أمِل إلى خصام أو فجور، كنت كائناً مسالماً أخضع بالقول اللين وأسامح الجميع.

أقف في المنتصف أبحث عمن يخاصمني؛ فأرى الأصحاب يتصالحون والأقارب يتقابلون والجيران يتبادلون كلمات طيبة، أرى المتشاحنين تلين قلوبهم والمتباغضين يمدون أيديهم بالسلام.

طال الانتظار ربما لسنوات من عمر دنيانا.. تورمت قدمايّ من طول الوقوف.. أتلفت حولي لعلي أرى من أعرفه.. الجميع يتصالحون ويمضون وأنا لازلت أنتظر حتى لمحتها قادمة من بعيد في اتجاه القنطرة.. إنها ابنتي التي لم أنجبها.. أختي الصغيرة التي ربيتها بعد موت أمي، أسأل نفسي بدهشة:

-هل هي من أنتظر؟

أشيح الفكرة عن رأسي بالطبع ليست هي، لعلها جاءت تنتظر أحدهم مثلي.. أنظر إليها أفتح لها ذراعي، لكنها تقف في جمود ناظرة لي بعتاب أهمس بهلع:

-هل أنا.. هل أنا أغضبتك؟

تهز رأسها بالإيجاب.. صرخت:

-كيف ألم أكن أماً لك بعد أمك !؟

-نعم.

-ألم أربِكِ كابنتي!؟

-نعم.

-إذاً لماذا تخاصميني؟

-عندما كنت صغيرة كسرت لي لعبتي!

-لقد سقطت من يدي دون قصد.

-كانت لعبتي الوحيدة لم أكن أملك غيرها.

- أعتذر لك اقتصي مني كما تريدين.

-بل أسامح.

الطريق شاق وطويل، قيل لنا اعبروا ففي العبور السكينة والخلود، الحشود كثيرة لكن لا يوجد من يدفع الآخر فلكل منا مكانه الذي يسير فيه، وها هم يعبرون أمامي فأرى من يسقط في قاع سحيق وأرى من يعبر كبرق عابر، وجلت خطواتي كيف سأجتاز ذلك الممر الدقيق؟ كيف سأصل للجهة الأخرى بسلام؟ ليس أمامي مفر من ذلك انتهى وقت الاختيار يجب أن أعبر.

أتقدم ما أن أضع قدمي على أول الطريق حتى أجد نفسي في الجهة الأخرى لا أدري كيف حدث ذلك؛ هنا تنتهي حدود العقل المحدود ويتوقف آفاق الخيال الواسع، تغمرني الفرحة نجوت.. نجوت، أتقدم بسرعة أجدها تنتظرني عند البوابة الكبيرة التي لم أرَ بدايتها ولا أعرف أين تنتهي، أمسكت بيدي وتقدمتني رفعت يدها التي تحمل يدي كإشارة مرور.. و.. عبرنا.

****

الحافلة الأخيرة

مثقلة تلك الحياة المحملة بالهموم، متعبة تلك الخطوات الدائبة الرحيل، تستقبل الحافلة الأخيرة لهذا اليوم الغريبة أوقاته، تأخذ مكانها بجوار النافذة المغلقة على الصقيع لتقتل الوقت بالتلصص على الأشجار والعواميد ووجهات المباني.

لا تعرف متى جاء الجالس بجوارها وهي غارقة في صمت مهيب محمل بوجع ذكريات سالفة منذ رحيل أخيها الوحيد غدراً في معركة خاسرة مع الأشقياء، لم تنتبه من غفلتها إلا حين جاء الكمسري وسألها عن قيمة التذكرة حينها التفتت من شرودها ورأته يجلس في المقعد الذي كان خاوياً منذ لحظات، لم يكن مزعجاً ككل الذين جاوروها في المرات السابقة محاولين اقتحام صمتها، يختلف عنهم ملامحه مألوفة تشعر بأنها رأته من قبل أو قابلته صدفة في أحد الأماكن المجهولة التي خانتها الذاكرة في تذكر عناوينها؛ هذا دأبها تتذكر الملامح والأوقات ولا تتذكر الأسماء.

حين رمقها تختلس النظر إليه خبأت وجهها خجلاً بين طيات كتاب كانت تحمله في حقيبة يدها.. لعله خطف نظرة عابرة لعنوان الكتاب ففاجأها بالسؤال:

-هل أنت من عشاق الأدب العربي؟

احمرت وجنتاها وهي تجيب: نعم.

-هل قرأت لنجيب محفوظ ويحي الطاهر عبد الله ومحمود درويش و...

أشارت إليه أن يتمهل فلا زالت تتعثر في القراءة لانشغال جل وقتها في الدراسة، عادت إلى صمتها يجرفها شلال الحزن تغرق فيه فيلوح لها طيف أخيها الوحيد عندما كان يرافقها في السفر كي لا تتوه في المدينة الكبيرة التي تدرس بها.

تتساقط قطرات دامعة بملح ذاكرة رطبة من أثر الهروب من طفولة مفعمة بدفء طال فقده بالرحيل.. انتبهت إليه كان يحدثها:

-امسحي دموعك فلا شيء يستحق البكاء.

تذكرت أبيها عندما كان ينهرها عن البكاء أمام الأغراب قائلاً:

-إن الدموع عورة يجب ألا يراها سوى أصحاب القلوب الحية.

حقاً لم تبك منذ زمن لكنه يوم غريب يخالجها بحزن بلا مقدمات، ردت بوهن:

-كان أخي!

نظر إليها بشفقة:

-هو يستحق أكثر من البكاء.. يستحق أن تحيي لأجله.

كانت كلماته سهاماً مصوبة إلى قلبها الخاوي من النبض.. لانت عيناها وقالت:

-أنت محق.

كانت الحافلة على وشك الوصول، وحانت لحظة الفراق لكنه يماطل ويأخذ الكتاب من يدها ويكتب رقم هاتفه مع رسالة باستئذان الوالد بزيارة قريبة.

تمسك الكتاب برفق وتهبط من الحافلة.. تسرع الخطى إلى منزلها.. شتان ما بين ركوبها الحافلة ونزولها فقد وجدت الجزء المفقود منها.

عندما ولجت الباب وجدت أمها المكلومة تبلل سجادة الصلاة بدموعها ارتمت بين أحضانها وهي تقول:

-أخي يستحق أن تحيي لأجله كي تمنحيه الدعاء.

****

الموت ينتظر خلف الباب

فرسك التي تحملت جموحك جُرحت وسقطت وهاجمها الغربان ينهشون لحمها وينخرون عظامها ولم تعد تصلح للركض.

انظر لتلك النقطة حيث الضوء الذي ينفلت من ثقب الباب المغلق.. هل تعرف ما هي؟ سر.. استسلم لأيديهم الغليظة التي تسوقك بقسوة كحيوان وحشي يخشون انفلاته.

أنت الآن أمام الباب سيفتحه ذلك البدين هل تعرف ما بداخله؟ نعم شكك في محله إنها المشنقة سينفذون حكم الإعدام الآن، بماذا تشعر؟ هل تشعر بالخوف؟ هل يداهمك القلق على صغارك الذين لم يتشبعوا من وجودك وأمك التي لا يوجد غيرك لرعايتها وزوجتك تلك التي أحبتك وضحت بالجميع لأجلك؟

المدهش أنك لا تشعر بأي شيء فقط يغلفك الهدوء النفسي والسكينة الأبدية، وتستحضر في ذهنك هيئة ذلك المحتال شريكك في العمل الذي أوقعك في فخاخه وسلبك مالك، تعرف إنه لوعاد للحياة لقتلته مرة أخرى غير نادم أو آسف.

الآن يد البدين تدفع الباب.. تجرفك شلالات النور، لا تدري من أين تنبعث فلا يوجد في الحجرة سوى مصباح ضعيف يرسل ضوءاً باهتاً، لا عليك دعك من ذلك النور، انظر إلى منتصف الحجرة، هل رأيتها إنها هي حبل المشنقة، لعلها تشبه تلك الأرجوحة الصغيرة التي صنعها أبيك لأجلك في طفولتك، أو لعلها تشبه سريرك الهزاز حيث كانت أمك تضعك وتهدهدك بصوتها الحنون:

-نم يا صغيري فالنوم يُكبر الأطفال.

تتقدم بفرح تنبسط أساريرك تطلق ضحكات مكتومة، لعلّ كل من يراك يعتقد أنك مجنون.. لا تعبأ بما يقولون.. تقدم لا تدعهم يتقاعصون ويقفون بينك وبين السكينة.

يتلقفك ذلك الرجل ذو الشوارب العريضة الذي يتقلد وظيفة عشماوي، دائماً ما كنت تسمع عن قسوته وقلبه الميت.. لكن الحقيقة غير ذلك فعيناه ممتلئتان بالكثير من الألم لعله الشعور بالذنب أو العجز، فربما لو واتته الفرصة لأطلق سراح كل من شنقهم بيديه قبل أن ينفذ فيهم الحكم.

تراه ينظر لك فى دهشة فتهمس له:

-لا.. لا تتردد امض في عملك، لا تهتم بفرحتي أنا لست مجنون، لن يفيد عرضي على طبيب نفسي الآن.. لا تهتم بعقلي ألن يموت معي!

أخيراً يستجيب لتوسلات عيني، يسير بي بمحازاة تلك الدلاية، يضع غطاء أسود على رأسي يطلب مني النطق بالشهادة التي لم أتوقف عن ترديدها منذ

سماعي بالحكم.. تأتي أمي تضعني على سريري الهزاز.. يرتفع بي الحبل.. يأتيني صوتها الحنون:

-نم يا صغيري فالنوم يُكبر الأطفال.

****

مذاق الذكريات

اليوم أعلن موت الفراشات.. وانتحار مواقيت الهجر.. أعلن حدادي حتى يتوقف نزيف قلبي وأستعيد ملامح وجودي، اليوم سأدفن ذكريات موجعة ماضية طاعنة في عمق سنوات شبابي.

لم أكن أعلم أن انتقام الجبار سيكون بنفس القدر الذي تألمت به إلا حين رأيتها بعيني وجدت نفسي أمام جثة هامدة، أمام جسد ميت يعيش بأجهزة طبية؛ كان الجميع يفر منها ولا ترغب أي ممرضة في تركيب المحاليل لها لكن بطبيعة عملي كممرضة جديدة لم أرفض.. لم أعرف من هي ولم يشغلني من تكون سوى أنني قمت بعملي لهذا اليوم.

وبينما أقف بظهري تجاه الباب أغرس الحقن فى ذلك الجلد المتعفن المهترئ من قرح الفراش، فوجئت بمن يفتح الباب بهدوء ويرسل صوت ينبعث من أعماق الذاكرة:

-كيف حالها اليوم؟

بنبرة أصابت أذني بالتوقف عن سماع أي شيء آخر، هل حقاً هو من أسمع؟ ذلك الذي هجرني بخزيّ بعد أن تفانيت بالوقوف بجانبه ودفعه إلى الأمام

حتى صار من مشاهير المجتمع، رغم كونه الابن الوحيد لأم سوداء القلب اغتالت فرحة قلبي بخنجر مسموم بالكراهية.

قلت وأنا أخبئ وجهي: لا شيء جديد.

ألقيت نظرة على تلك الجثة المسجاة نتنة الرائحة؛ فعرفتها إنها هي من عاملتني بغرور سيدة ارستقراطية منحدرة من سلالة البشوات البائدة، تعالت عليّ لدرجة سخريتها من ملابسي وشكلي، احتملت دناءاتها من أجل حبي لابنها الذي لم أكن أشك إنه يبادلني نفس المشاعر؛ لكنها لم ترض له أن تتملكه امرأة أخرى فأخذت تكيد لي حتى زرعت الشك داخله، ثم بدأت تشهر بسمعتي فما كان منه إلا أن طردني ككلب أجرب، عدت إلى بيت أهلي أحمل انكسارات العالم وخزيّ البشرية ونزيف الكرامة وانفطار القلب.

لم أستطِع مواجهة المجتمع أوتكذيب ما حام حولي من تُهمٍ باطلة، فقضيت جُلَّ وقتي على سجادة الصلاة أشكو للجبار وأروي الأرض بدموعي، وشيئاً فشيئاً تسللت السكينة إلى نفسي وقررت أن أواجه العالم، فخرجت أبحث عن عمل ومن عمل إلى عمل حتى استقر بي المقام في تلك المستشفى وهذا أول يوم لي فيها.

نظرت إليه خلسة وأنا لازلت أقف بظهري فوجدته يقف شارداً ذليلاً لم يعرفني ولم أعطه فرصة للتذكر أو الغوص في بئر ذكريات مريرة، فقط شيعته بنظرة عابرة، ثم مضيت أطلب نقلي إلى قسم آخر.

ضجيج

لا أدري أين أنا.. من أنا.. ماذا أفعل؟

ما بين النوم واليقظة صخب.. ضجيج.. ضوضاء في رأسي أصوات لا أميزها...

-بلاد العرب أوطاني

وكل العرب أخواني

بأداء هشام الجخ.

-صلي.. صلي.. صاااالي

عاا النبي.. صا.. صاااالي ..

غناء عمال البناء وهم يحفرون أساس برج كبير.

-الله أكبر.. الله أكبر.

آذان العصر بصوت الشيخ محمد رفعت ينبعث من راديو قريب.

-تووووووووت..... تووووووت.

صافرة القطار الذي يوقفني في الطريق بمروره الثقيل ويعطلني عن ميعاد عملي.

-بلادي... بلادي... بلاااااااادي.....

النشيد الوطني في طابور الصباح.

-يا العروسة يا اللي غازلة خلاجتها في خلييييييجي..

دندنة قديمة لعرس بعيد.

صخب.. ضجيج.. ضوضاء يختلط مع صوت المسيرة المارة من تحت شرفتي يهتفون بعربية القدس، يتبعها صوت بكاء وعويل على أحد الأقارب الذي مات منذ ساعات.

-حاجة لله.. الله يعطيك العافية.

نداء المتسولين في الطريق.

-الدور عليّ أنا.

-لا أنا سألعب أولاً.

شجار أولادي المتتكرر أثناء اللعب.

-حمرا يا طماطم.

-حنينة يا كوسة.

أصوات الباعة في السوق المجاور.

-ابنك ضرب ابني.

-امممممممممم ...

شجار جارتي اليومي مع باقي الجيران مع وصلة من الردح المتواصل حتى الصباح.

-الغداء يا حاجة.

طلب زوجي بمجرد دخوله البيت.

آآآآآآآآآه رأسي تؤلمني.. الحجرة تدور.. تختلط جميع الأصوات.. تتداخل كلها في صرخة واحدة

-اصحيييييي...

****

البخيل

1

كنت لا أنام إلا وعيني مفتوحة ولا أغمضها إلا بعد أن أتأكد أنه غط في النوم العميق، كنت أخشى أن ينقض عليّ أثناء نومي انقضاض الذئب على فريسته.

هو يملك الكثير من المال لكنه بخيل لحد التسول، كان لا ينفق عليّ ولا على أولاده سوى أقل القليل بعد مشاجرات عديدة، كان يخبئ ماله بشكل عجيب كأنه يضعه في بطن جني فلا أثر لوجوده، وعندما صارحته ببخله هددني بالقتل إن لم أتراجع عن طلب المال، ومن يومها وأنا أخشى النوم بجانبه، ولا أطمئن على نفسي إلا بعد ذهابه إلى العمل.

2

-القبر هو المكان الوحيد الذي يمتلكه الإنسان دون منازع.

هذا ما علمني إياه أبي وعلمني أيضاً أن محافظة الإنسان على ماله أهم من وجوده في الحياة، ولن أنسى ما فعله بي يوم وقعت من يدي وضاعت الورقة ذات الخمس جنيهات؛ مكثت لأسبوع كامل بلا طعام أونوم وقد قيد أطرافي ووضعني في زاوية من حجرتي.. لكن تلك المرأة الحمقاء زوجتي لا تفهم

سوى لغة الطعام والشراب، وقد اتخذت قراري بأن أترك لها البيت وأذهب إلى تلك "المقبرة " التي اشتريتها وجهزتها لأعيش فيها دون منازع.

****

يوم في حياة آلة عاملة

أحياناً تسرقنا الحياة من أنفسنا فنتحول إلى مجرد آلات تتحرك لتنجز ما لديها من أعمال في صمت دون تفكير هذا ما اكتشفته اليوم....

صحوت من نومي مبكراً أعددت طعام الفطور، ووضعت الملابس المتسخة في الغسالة، ورتبت حجرتي، ونظمت غرفة المعيشة من الفوضى التي أحدثها أبنائي، ثم ارتديت ملابسي سريعاً وهيأت نفسي للذهاب إلى العمل.

خرجت مبكراً كي ألحق بالمترو ولا يعطلني الزحام مثل كل يوم، لكن الغريب أن كل الشوارع كانت شبه خاوية، وجدت نفسي وحدي في عربة المترو فلم تتملكني الدهشةُ كثيراً كان الوقت لا زال باكراً.

وصلت إلى مكان عملي قبل الميعاد المحدد بخمس دقائق، كنت سعيدة لأنني لن أوقع في دفتر التأخيرات ككل يوم، لكني وقفت أنتظر أمام الباب الذي كان مغلقاً، قلت في نفسي لتمضِ الخمس دقائق وسيحضر الجميع، مرت ربع ساعة ولم يحضر أحد.. نفد صبري.. طرقت الباب بعنف، فتح لي مسؤول الأمن ووجهه يحمل مئات الأسئلة عن سبب وجودي.. سألته بغضب:

-لماذا تغلقون الباب؟

رد بهدوء: اليوم إجازة رسمية.

كأنه سكب في وجهي دلو من الماء البارد.. نظرت في الموبايل لأتأكد أن اليوم هو يوم الجمعة واريت خجلي وانسحبت من المكان وأنا أرثي نفسي.

****

آخر ما تبقى من الأثاث

مشت ببطء تحمل آخر ما تبقى من أثاث شقتها حتى وصلت إلى الباب، كانت على وشك أن تخرج وتغلقه خلفها لكن الحنين يراودها عن نظرة أخيرة ألقتها على الجدران الفارغة، ولأول مرة تلاحظ كم الشقوق التي هاجمتها، والرطوبة التي عششت داخلها حتى انهار الدهان الزيتي القديم وبعض أجزاء من المحارة وفاحت منها راحة العطن.

تلك الشقة التي كانت تشبه القبو المظلم؛ يتعاقب عليها الليل والنهار دون أن يمسها شيء منهما، كأنها تقع في مكان آخر خارج الكرة الأرضية لا يدخلها نور النهار أو نسيم الهواء، حتى النافذة الوحيدة المطلة على الشارع لم تكن تستطيع فتحها حيث الجارة تحتل مكانها في النافذة المقابلة للتلصص على باقي الجيران.

أصابت الرطوبة عظامها فألصقت بها إلتهابات المفاصل، والظلام الذي كانت تقاومه بإضاءة المصابيح الكهربية قد تسبب في ضعف بصرها، أما ضيق المكان وعدم قدرتها على الحركة لصغر المساحات الفارغة فقد أغرقها في السمنة المفرطة.

رغم كل مشاعر الحنق على تلك الجدران إلا إنها لا تنسى أنها شهدت همسات العشق الأولى وأيام العرس أوما يُسمى بشهر العسل، فالسعادة لا يحبسها مكان ولا يمنعها ظلام.. لكن عندما تخمد جذوة المشاعر يُكشر الواقع المؤلم عن أنيابه؛ شقة مساحتها أصغر من غرفة واحدة في بيت أبيها الكبير، تقبع في حيّ شعبي ضيق، وكلما مرت الأيام كلما ازداد ضيقها وتعمق إحساس العجز بعدم قدرتها على تغيير واقع مؤلم أصابها في مقتل عندما وافقت على الزواج من ابن عمها والرحيل معه إلى تلك المدينة البالية.
سنوات تمضي وهي تشعر أنها حبيسة في قمقم، ولا تعرف كيف تخرج منه حتى استطاع زوجها شراء شقة كبيرة، كانت الدنيا لا تتسع لها من السعادة وهي تلملم أشياءها كعروس تزف إلى عريسها لأول مرة.

تم نقل كل شيء إلى الشقة الجديدة، ولم يتبقَّ سوى طقم الصيني الذي خافت عليه فتركته بعيداً عن زحمة الأثاث ثم عادت لتحمله وحده.
أخيراً وصلت إلى خارج الشقة وأمسكت بالباب لتغلقه خلفها، لكن عينيها وقعت على الصالة الصغيرة حيث كان الصغار يلعبون، انحدرت دمعة ساخنة مالحة استقرت على شفتيها فأغلقته بعنف لتقاوم رغبة البكاء.. لكن قدميها تنزلق ويسقط طقم الصيني على السلالم الحجرية محدثاً جلبة انفجارٍ قويّة كأنها صرخة عميقة تودع بها عمراً مضى.

صرخة

في صحن البيت الكبير حيث أشعة الشمس ترمى سهامها الملتهبة، وتهب نسمات الصيف محملة برائحة الزرع المجاور، وحيث تعشش الحمامات بجوار الجدار البحري الذي لا تنال منه الشمس.. وبالجانب الآخر الفرن الطينى الذي تفوح منه رائحة الخبز الشهي والفطائر التي تصنعها الجدة خصيصاً للأحفاد، كان يجلس متجنباً قيظ الظهيرة، وجهه خارطة للزمن وانحناءة ظهره تبوح بشقاء السنين، يتنحنح كي يلتقط نفساً عميقاً، ويمازح الصغار الذين يلتفون حوله بفرحة غامرة.. سألته طفلة ابنه المسافر:

-لماذا شاربك كبير هكذا يا جدي؟

رد متصنعاً الجدية: لأن النساء تخاف من الرجال الذين يملكون شوارب كبيرة.

التفتت الطفلة إلى جدتها وسألتها ببراءة:

-هل تخافين من جدي بسبب شاربه؟

ضحكت الجدة وهزت رأسها وهي ترمقه بنظرة شفقة لم يفهمها الصغار.

هذا هو اليوم الأسبوعي الذي يجمع فيه أحفاده؛ فيصنع لهم الطعام الشهي، ويحكي لهم حكايات الزمن البعيد، فيتشوقون لذلك اليوم ويتنافسون على الحضور باكراً.

هذه المرة وجهه شاحب ويلتقط أنفاسه بصعوبة كقطار قديم أنهكه طول السفر فوق قضبان لا تنتهي.. كان يرنو إليهم بحنان مكتوم، ويطلق سعالاً متقطعاً تتسارع فيه دقات قلبه وتتوقف أنفاسه فيلتقطها بصعوبة.
ها هي سنوات الشقاء تجتمع في صدره؛ عمله في الحقل لساعات طويلة.. جمعه للمحصول في البرد والحر.. رحلته اليومية إلى السوق ليبيع ويشتري، يشعر أنّ القطار على وشك التوقف.

تفوح رائحة الخبز الساخن والفطائر المشبعة بالزبدة الفلاحي فيلهث خلفها الصغار، يقفون بجوار الفرن الطيني يتلقفون ما يخرج منه بنهم وجوع.
وحدها الجدة من تعرف ما به وكلما نظرت إليه اغرورقت عيناها بالدموع فتستدير ناحية الفرن الحارق غارقة فى عرق النهار الصيفي... وفي نوبة من نوبات السعال الطويلة نادى عليها "أن اقتربي".. شعرت بصوته يقتلع قلبها من مكمنه ففزعت إليه، مد يده لها فأمسكتها بقوة وهي تغمرها بالقبلات وتغسلها بالدموع حتى ارتخت بين يديها..
صرخت الجدة وهج الحمام ووقع الخبز من أيدي الصغار.

****

قلم كحل

1

تمسك قلم الكحل بحرصٍ شديد، تخفيه بين يديها بعد أن تدفع ثمنه للبائعة الجائلة، تدخل حجرتها وتغلق الباب خلفها بإحكام، تنظر إليه نظرة طفل أضناه اليتم لثياب العيد الجديدة، كم تمنت طوال السنوات الماضية أن تقتني مثله! فمنذ خروجها للعمل مع زوجها في السوق كانت ترى النساء رائحات غاديات تضحك عيونهن الكحيلة، كان عندما يرمق منها تلك النظرة التي يعقبها تنهيدة ألم يسارع ويغازل جمال عينيها الملونة التي لا تمتلكها واحدة منهن.

مضت سنوات الشقاء، واستطاع بعد عناء جمع بعض المال الذي اشترى به معرضاً للسيارات، ولم تعد في حاجة للذهاب إلى السوق تحت وطأة قيظ شمس الصيف ولفحة برد الشتاء، ذهبت مرارة الأيام وتستطيع الآن شراء كل ما يحلو لها لتعيش كباقي النساء.. لكن تسأل نفسها:

-ماذا سيقول الأولاد عندما يرون الكحل في عيني؟

تهمهم برضا: لن أضعه أمامهم.. سأضعه في الخفاء ولن يلاحظ أحد.

2

في غرفة العمليات الواسعة كان يستسلم لأيديهم التي تعتصر جسده تحت وطأة الأجهزة الطبية، كان النور يختفي وتكتحل عيناه بالظلام، يعلم بخطورة الجراحة لكنه أوصى أولاده ألا يخبروا أمهم؛ فهو يخاف عليها من نفسها فلم يخرج من رحلة عمره سوى بها، اشترى لها الذهب الذي لم يستطع شراءه في الماضي، وألبسها خاتم الزواج وسط دهشة الأولاد وفرحتهم، ثم ودعها مدعياً أنه ذاهب في رحلة عمل، دعت له كعادتها وقبلت جبينه، يشرد عقله:

-ماذا لو حدث لي مكروه؟ ماذا ستفعل من بعدي؟

لم ينسَ توصية أولاده عليها:

-أمكم يا أولاد احفظوني فيها، تزوجتها عود أخضر وترعرع بين يديّ.

بكى الأولاد من وقع كلماته وطمأنوه.

غرز الطبيب حقنة البنج في جسده و.....

3

عندما عاد إلى البيت مسنوداً على عكازين، ساح الكحل في عينيها مختلطاً بالدموع مخضباً وجهها بالسواد.

مرثيات أم

قتل

التف المارة حول الجثة الغارقة في الدماء وسط الطريق يتساءلون عن هويتها.. قال أحدهم:

-نفتح حقيبتها لعل بها بطاقة الهوية، أو نجد هاتفاً فنتصل بأقاربها.

كانت تحتضن الحقيبة بقوة فلم يستطيعوا نزعها من بين يديها، تعجبوا لكن هناك من كان يرى المشهد من البداية فقال لهم:

- لا ترهقوا أنفسكم فقد حاول لص سرقتها لكنها تشبثت بها، وأخبرته إن بها اللعبة الوحيدة التي اشترتها لابنها في عيد ميلاده وآخر ما تبقى من الراتب.

قال قائل: أبلغوا الشرطة وغطوا جثتها بأوراق الجرائد.

ملح

ما الذي أفسد صباحي؟ لا أشعر بالصباح إلا عندما أتنفس رائحة القهوة بين يديّ، وأرتشفها بعمق كي تسقط عني أردية النوم، ويتلبسني الأرق لتمرير يوم آخر من عمر أمومتي.

من الذي أفسد صباحي؟ وجعلني أضع الملح بدلاً من السكر دون أن أشعر إلا عندما تذوقتها، فتقيأت معها ألم البارحة عندما أخبروني بمقتلي.

قصد

كل الذين تواطؤوا على موتي يعرفوني جيداً، كما يعرف أولادي مدى حبي لهم، وكم انشغالي بهم، ومقدار تضحيتي من أجلهم، يعلمون أنني تركتهم يقتحمون حياتي ويسرقون خصوصياتي حتى إنهم احتلوا فراشي ولا أجد مكاناً أستريح فيه.. لكنهم اليوم وضعوني في مكان لا يتسع سوى لجسدي، جثتي فقط.

فهل كانوا يقصدون إزعاجي أم هي المصادفة أن أكون أم!!!!

****

ثنائية الألم

سقوط

البنت هي التي تقرر لحظة سقوطها عندما تستجيب لأول طارق على باب أنوثتها؛ فإن تزوجته يستحل حقوقها كما استحلها لنفسه على غير وجه حق، وإن هجرها ترك ندبة في روحها إلى آخر العمر.

استحضرت كل هذا وهي في طريقها لأول لقاء لهما؛ كانت تشتاق إلى كلماته إلى نظرة عينيه، تستحضر في نفسها كل قصائد الغزل وأغاني الغرام، كانت تظن أنّ الحبّ يقف عند تبادل الهمسات والنظرات.. لكنها صُدمت حين رأت في عينيه أسداً جائعاً في انتظار فريسة، فلطمته عندما همّ بها وهربت بما تبقى من كرامتها، تلملم أذيال أحلامها وتشعر بألم الخنجر الذي اقتحم صدر أبيها.

وجع

-ربما نعم.. ربما لا...!

كانت تقدم خطوة وتؤخر أخرى، يهاجمها التردد كوحش كاسر يكشف عن أنيابه، فتهم بالرجوع لكن الهاتف يرن.. ترد فإذا بالممرضة تؤكد على الموعد وتخبرها بضرورة الإسراع.

كانت في طريقها إلى المستشفى بعد ظهور شيء صلب في جانب ثديها الأيمن.. وطوال الطريق تحاول التغلب على الشك:

-ربما تكتل لبني.. ربما شيء آخر..!

لا تدري لماذا تخاف إلى هذه الدرجة؛ فهي لا تملك شيئاً في هذه الدنيا سوى جمالها؛ جسدها الممشوق.. ملامحها الفاتنة.. فلم يتزوجها ذلك الفنان الشهير إلا ليتباهى بجمالها، ترفع نظارة الشمس عن عينيها ناظرة إلى السماء نظرة رجاء ثم تتقدم نحو المستشفى، فحصها الطبيب عاتبها على تأخرها فقد جاءت بعد فوات الآوان، تصرخ بفزع تجري إلى الخارج باكية، تقابلها أم في انتظار ابنتها التي يفحصها طبيب آخر، تأخذها بين ذراعيها تاركة لها صدرها كي تدفن فيه ما تبقى من وجع.

****

شرخ في الجدار

كانت تنظر إلى الجدار المشروخ الذي يتسلل منه شمس الصباح الباهته، بالكاد تبصر شيئاً من الضوء فقد زاغ البصر ووهن البدن.

تنهض متثاقلة تتلفت حولها؛ الأرائك خاوية والحجرات تملؤها الرطوبة من طول هجرة الأنفاس.. تزوجت البنات وأصبح لكل واحدة بيت يؤويها وأولاد يشغلونها، ولم تعد تراهم إلا في المناسبات والأعياد، أما الزوج فلا يجد ما يشغل وقته سوى الجلوس في المقهى منذ الصباح وحتى وقت الغداء، فيعود باحثاً عن لقمة يسد بها جوع بطنه ثم يذهب في النوم العميق.

لا تدري لماذا هذا النهار ثقيل تشعر بوطأة الفقد وبثورة الألم الذي تعانيه منذ عدة أشهر حين هاجمها مرض القولون، ولم تعد تنفع معه تلك الأعشاب التي تتناولها طيلة اليوم.. يشتد الألم فتشعر ببطنها تتمزق وتكاد أن تنفجر.. تنظر إلى الجدار المشروخ وتهمس لنفسها:

-لعله البرد الذي يقتحم جسدي من هذا الشرخ هو سبب ما أنا فيه من تعب لابد أن أسد الشرخ كي أحجب الصقيع عن جسدي الضعيف.

قامت تجر قدميها وتمسك بطنها بيديها كأن بها شيء على وشك السقوط، تئن بصمت، تحضر وعاء فارغاً تضع فيه بعض الإسمنت وتصب عليه الماء

تقلبه بعصا صغيرة، ثم تمسكه بيد مرتعشة أنهكها الشقاء تداوي به شرخ الجدار، كلما سدت جزءاً أظلمت الحجرة التي لا نافذة لها حتى انتهت وعاد مستوياً بلا شقوق، فغسلت يديها وجلست تستريح لكن الألم يعصف بظهرها فتهوي على الأرض وهي تصرخ وتستنجد، وقد انفتحت نافورة من الدماء تنهمر على ساقيها، فيعلو صراخها ويزداد الوجع حتى تشعر بشيء ثقيل يخرج أسفل منها ويمتزج صراخها مع بكاء صغير، للوهلة الأولى التي سمعت فيها صوته غابت عن الدنيا أسودت الحجرة وغشي البصر.. ثم شيئاً فشيئاً يعود النور إلى عينيها فتنظر إلى ذلك الصغير الراقد بين ساقيها فتصدمها المفاجأة؛ إنه غلام أنجبت سبع بنات ولم يمن الله عليها بالولد، والآن بعد أن بلغت الخمسين من العمر، وأصبح زوجها شيخاً كبيراً يغلبه الانكسار؛ فهو الوحيد في عائلته ليس له ولد.. تسأل نفسها بدهشة:

-الآن!! الآن يأتي الغلام؟!

كانت ما تعانيه أعرض الحمل بينما تتحسر على نفسها لإصابتها بالشيخوخة والمرض، وظلت تداوي نفسها بالأعشاب حتى يئست من الشفاء.

لم يمضِ وقت طويل في التفكير فقد عاد زوجها ورأى ما رأى، لكنه لم يتحدث فقد فهم كل شيء عندما نظر إلى الجدار ولم يبصر الشرخ.

****

ليلة العيد

دائماً ما تكون ليلة العيد صاخبة؛ حيث تقوم الأمهات بتنظيف المنازل استعداداً لاستقبال الزائرين، وحيث يجلس الأولاد بجانب ملابسهم الجديدة بأمنيات جميلة عن العيدية والكحك والحلوى وصلاة العيد التي يجتمع فيها أهل القرية ويتبادلون التهنئة وعبارات على شاكلة "تقبل الله" "أثابكم الله".

أنهيت ترتيب بيتي استعداداً لاستقبال أقاربي، فعادةً ما يجتمعون عندي في أول أيام العيد حيث الطعام والشراب والمرح، وكنت على وشك النوم عندما طرق الباب فذهبت لأرى من الزائر في تلك لساعة المتأخرة من الليل، فإذا هي " أم طارق" جارتي يملؤها القلق، تطلب مني أن أتصل لها بابنها الوحيد فمنذ الصباح كلما رنت عليه ردت خدمة الهاتف لتخبرها أن الرقم غير موجود بالخدمة، طمأنتها وأنا أخفي دموعي.. أخبرتني أنها لن تستطيع النوم، وستجلس أمام الباب تنتظره فهو دائماً لا يتأخر يأتي قبل صلاة العيد ليلحق الصلاة في مسجد القرية.

لم أستطع تركها وحدها خرجت وجلست معها، أخذت تسرد حكاياتها عن ابنها فمنذ حصل على الشهادة الجامعية والتحق بوظيفة في المدينة ثم تزوج واستقر هناك وهو يأتيها في المناسبات والأعياد حاملاً معه الهدايا الكثيرة.

وتتذكر كيف رزقها الله به بعد سنوات من الحرمان.. وكيف أصبح أملها الوحيد في الحياة، وكم كانت فرحتها بزواجه وبميلاد أحفادها، ظلت تحكي حتى لاح ضوء الفجر وبدأ الناس يستعدون لصلاة العيد، وأنا أتصنع الدهشة مما أسمع كأني أسمعه لأول مرة – فهي لا تتذكر عدد المرات التي قامت فيها بسرد نفس الذكريات – وعندما بدأ الناس يتوافدون على المسجد المجاور لصلاة العيد بدأت الدموع تنهمر من عينيها لتعلن في يأس أنه لن يأتي.. ربما لانشغاله بميلاد طفل جديد.. أو ربما لإصابته بتعب مفاجئ.. وربما يأتي فى يوم آخر، أمنت على كلامها وأخذت بيدها وأدخلتها منزلها لتستريح، وأنا أكتم حسرة داخلي وأتذكر ذلك الحادث الأليم الذي هز القرية كلها منذ أربع سنوات، عندما كان في طريقه لزيارتها في ليلة العيد.

****

لحظة فارقة

تحت إضاءة الكوبري الخافتة فوق الرصيف الباهت وسط زحمة الباعة الجائلين كان "سيد" يجلس بخردواته القليلة ينادي على بضاعته بصوت جهوري.

لا يدري كم عمره! وكم مضى عليه من سنين في ذلك المكان! منذ وعي على الدنيا وهو يقطن أسفل ذلك الكوبري؛ يعرف وجوه الناس الذين يمرون أمامه أكثر من معرفتهم بأنفسهم، يحفظ ألوان السيارات وماركتها وهيئة من يركبها حين تعبر من جواره، يعرف العسكري الذي يقف على بعد عدة أمتار لينظم حركة المرور، ويعرف صاحب الكراج القريب الذي يعطف عليه منذ صغره فيسمح له بالمبيت في ليالي المطر بجوار السيارات، يعرف كل شيء فالشارع أكبر مدرسة هو مدرسة الجاهل ومأوى الغريب... لم يكن يملك من حطام الدنيا سوى بضاعته القليلة يبيع ويشترى ويأكل ويدخن تلك اللفائف التي اعتاد عليها منذ صغره حتى لا يشعر بقسوة البرد ووطأة الجوع.

تحت إضاءة الكوبري الخافتة فوق الرصيف الباهت وسط زحمة الباعة الجائلين وقفت سيارة الشرطة بصوتها المميز ففر كل الواقفين عدا سيد كان

قد انتهى لتوه من إحدى اللفائف فلم يستوعب ما يحدث.. ظل واقفاً مكانه ينادي على بضاعته، تقدم الضابط منه وسأله بحدة:

-لماذا تقف هنا؟

رد ببرود: هذا المكان ملكي.

لم يشعر بالصفع والركل الذي انهال عليه من الضابط ولا ببضاعته التي تناثرت على الرصيف إلا عندما انتهى مفعول اللفافة وهو داخل زنزانة مظلمة تملؤها رائحة العرق والعطن، يحفظ تفاصيل ذلك المكان جيداً فهم دائماً يجلبوه إليه في المناسبات الكبيرة أوحين ينظفون المدينة أثناء زيارة أحد المسؤولين، نظر حوله رأى تلك الوجوه المألوفة التي يعرفها حياهم ثم انزوى في أحد الأركان بجانب ضيف غريب يختلف عنهم فهو مهندم الملابس يحمل في وجهه ملامح الوقار ولا يبدو عليه استعداده لإثارة المشاكل.

راوده الفضول في التعرف عليه، اقترب منه وبدأ يتجاذب معه أطراف الحديث، فأخبره الغريب بأن الحاجة أجبرته للوقوف بين الباعة الجائلين كي يبيع بضاعته القليلة وينفق على دراسته ثم سأله:

-أين مكان القبلة كي ألحق الصلاة؟

رد سيد بدهشة: ما القبلة؟

بهدوء شرح له معنى القبلة وصلى أمامه العشاء، بكى سيد عندما سمع تلاوته بصوت شجي، كانت لحظة فارقة في حياته ولأول مرة ينام مطمئناً

وهو ينظر من كوة الزنزانة إلى السماء المضيئة بنور القمر، وفي الصباح أخرجوهم جميعاً.

تحت إضاءة الكوبري الخافتة فوق الرصيف الباهت وسط الباعة الجائلين كان سيد يقف بوجه مبتسم نظيف ينادي على بضاعته القليلة.. فيلتف حوله المارة.

****

عرض

كان يقف مزهواً يتباهى بألوانه البراقة وتصميمه المدهش وخامته الراقية، كان أفضلهم وأجملهم وأثمنهم؛ فباقي الخامات من النوع المألوف والمعهود الذي تفضله السيدات.

الجميع يمرون أمام واجهة المحل ويقفون يتأملون ذلك الفستان العجيب، لكن عندما يقرؤون تلك الورقة التي كُتبت عليها "ألف جنيه مصري لا غير" يمضون في سلام، يبحثون عن آخر أرخص فهو في النهاية مجرد فستان ولا يستحق كل هذا الثمن.

كان مزهواً بإعجاب الناس به وعدم قدرتهم على شرائه كان يقول لنفسه:

-يوماً ما سيأتي من يقدر على ثمني ويستحقني.

لكن الأيام تمضي ولا يقدم أحد عليه حتى بدأ القلق يساوره بنهاية الموسم، وحدث ما كان يخشاه فقد خفض صاحب المحل الثمن إلى النصف.. لكن بقاءه في واجهة المحل لوقت طويل جعل ألوانه الزاهية تفقد رونقها وتتحول إلى اللون الباهت، فكانت كل من تمسكه تتأفف من شحوبه اللافت فتتركه إلى آخر مما جعل صاحبه يخفض الثمن إلى الربع، لكن رخص ثمنه جعل السيدات يتشككن في أمره لربما به عيب خطير غير ظاهر.

وببداية الموسم الجديد كان صاحب المحل قد اتخذ قراره، فهمس لزوجته بكلمات عن ضرورة الصدقة حتى يبارك الله في الرزق، ثم أخذ الفستان ووضعه في حقيبة ورقية وخرج إلى بائعة المناديل الجالسة بجوار المحل تتسول قوت يومها وأعطاها الحقيبة قائلاً: هذا لك.

لمعت عيناها حين نظرت في الحقيبة وعرفته لم تصدق نفسها هذا الفستان الذي أبهر الجميع أصبح من نصيبها.

صارت ترتديه طوال أيام الأسبوع وتجلس أمام واجهة المحل فترنو منه نظرة حسرة إلى تلك العارضات ويواسهين على طول البقاء.

****

معركة القسوة

أقسى شيء في هذه الحياة هو أن تسيء إلى أحد، أو تأخذ حقاً ليس حقك، أو تهدر مالاً لا تملكه، أو تمارس قوتك على ضعيف لم يعترض طريقك، أو أن تنكر واجباتك وتبحث عن حقوقك، أو أن تملك المساعدة وتمتنع عنها، أو تكسر الخواطر والقلوب.

لم أكن أتخيل عندما أتزوج أن تقع عليّ كل هذه القسوة من أهل زوجي، ليس لشيء سوى أنني مختلفة عنهم؛ فأنا كائن مسالم أعشق العزلة وأهتم بأناقة شقتي وأمارس هواية القراءة في أوقات فراغي، أما هم بحكم عملهم في تجارة الفاكهة فإنهم يمارسون حياتهم في الشارع لا يملكون خصوصية لأي شيء فغالباً ما يتناولون طعامهم في الشارع ويعرضون مشاكلهم أمام الجيران حتى عندما يمزحون يطلقون النكات ويضحكون مع المارة.

بالطبع لم تعجبهم شخصيتي الخجولة التي لم تعرف الجلوس أمام عتبات الأبواب من قبل، ولا تقبل تدخل الأغراب في خصوصيات الحياة، فبدأت الحرب بيني وبينهم؛ كانوا يحاولون أن يسقطوني في عالمهم لكني دافعت عن عزلتي وقاومت فضولهم، وعندما فشلوا بدؤوا إعلان عدائهم الواضح والصريح، فلم يتركوا جلسة من جلسات الشارع إلا واستفتحوها بالذم في شخصي وإفشاء أسرار حياتي مع زوجي الذي هو ابنهم، ثم تنتهي بإطلاق

السب والتجريح بأصوات عالية حتى تصل إلى مسامعي في شقتي، ثم تتطور الأمور إلى بعض المناوشات، كأن يسكبون الماء أمام بابي أو يضربون ابني أثناء مروره من أمامهم أو جمع القمامة وتركها أسفل نافذتي فتصلني من رائحتها وعفنها ما لا أطيقه.

تحملت كل هذه الحماقات ولم ألُم زوجي في شيء فلا ذنب له أن يكون لديه أهل بهذه الوضاعة؛ فهو زميل الجامعة الذي كان قمة في الأخلاق والتفوق، ولم أستطِع رفضه عندما طلب الزواج مني لكني لم أكن أعرف شيئاً عن أهله، وقد كانت معاملتهم مع زوجي مختلفة كانوا يظهرون له الود والاحترام ويتجنبون الإساءة لي أثناء وجوده وقد كنت مقتنعة إنه مهما حدث فهم أقاربه ويجب عليه وصالهم.

لكن الأمر زاد سوءاً بعدما سافر في مأمورية عمل، فوجئت بأخته تقتحم شقتي بالقوة وتتشاجر معي بلا أي مقدمات أو أسباب، أخذت أصرخ وأستنجد بالجيران لكنهم كانوا يخشون من إجرامها فالتزموا الصمت.

مكثت ليوم كامل أبكي في مكاني لا أقوى على النهوض، ومما زاد ألمي بكاء ابني الذي ليس له ذنب في أي شيء، فرفعت يدي إلى السماء وشكوت إلى الله قلة حيلتي.

سبحانه من وعد المظلوم بالنصرة فتلك التي أبكتني أنا وابني صدمتها سيارة عابرة وتهشم ظهرها.. والآن ترقد في المستشفى بلا حركة سوى

عينين تزرفان الدموع حسرة على ما حدث لها... بعدها اعتبر الجميع وبدؤوا يتركوني وشأني.

فعدت إلى هدوء عزلتي وقراءة الكتب والاهتمام بأناقة شقتي، لا يشغلني شيء سوى سعادة ابني وزوجي.

****

المصيدة

كان يرقد في فراشه أسفل النافذة المفتوحة دائماً على الشارع؛ تلك النافذة هي الشيء الوحيد الذي يشعر من خلاله بحركة الحياة ووجود الآخرين ومرور الوقت، هبط الظلام على الشارع فدبَّ اليأس داخله وانقطع الأمل في مجيء ابنته.. وفجأة يرن الهاتف الذي لا يتركه من يده خشية أن تتصل في أي وقت ولا يسمعه.. يرد بسرعة بعد أن قرأ اسم ابنته الحبيبة التي يسجلها باسم "قرة عين أبيها" يأتيه صوتها بخجل تعتذر لأنها منشغلة.. يشفق عليها فيطمئنها أنه بخير ولا يحتاج سوى رؤيتها.. يغلق الهاتف بعد أن تعده بأنها سوف تمر عليه في الصباح قبل ذهابها إلى العمل.

يعيش تحت وطأة الشيخوخة والمرض بعد وفاة زوجته، لم يعد قادراً على خدمة نفسه، لكن الله سخّرَ له سميحة جارته فهي تشتري له كل ما يحتاجه وتعد له طعامه، وهو يجزل لها العطاء ولا يبخل على أبنائها بالمساعدة.. واليوم صرفها عن خدمته بعد أن وعدته ابنته بالمجيء، ماذا سيفعل الآن؟؟ وهو لم يأكل منذ الصباح وقد ذهبت سميحة لشأنها ولن تأتي في هذا الوقت المتأخر!! ماذا سيفعل وهو لا يقوى على الحركة من الفراش دون مساعدة؟ ماذا سيفعل وابنه الوحيد مسافر خارج البلاد منذ

بضع سنوات؟ كيف سيتناول دواء القلب وزجاجة الماء التي يضعها بجواره فارغة؟

وسط ضجيج أفكاره يسمع صوت يزعجه يلتفت لمصدر الصوت؛ فيرى الفأر قد وقع في المصيدة.. ذلك الفأر الذي كان يضايقه طوال الأيام الماضية، فجلبت له سميحة مصيدة ووضعتها في زاوية الغرفة بعد أن وضعت داخلها قطعة من الجبن وقد انطلت عليه الحيلة ووقع فيها.

أخذ الفأر يجري يميناً ويساراً محاولاً الخروج، وبعد فترة غلبه اليأس فقبع في زاوية المصيدة بلا مقاومة، كان يتأمل المشهد باهتمام شديد كأنه وجد ما يسلى به نفسه، وفجأة شعر أن حاله يشبه حال هذا الفأر.. وهذا الفراش يشبه المصيدة وهو يقبع بلا حركة مستسلم مثله.

لم يمضِ وقت طويل في التأمل فقد داهمته آلام قلبه.. كان الطبيب يحذره من أضرار التأخير عن موعد الدواء وهو لم يتناول شيئاً منذ الصباح.. بدأ الألم يشتد شيئاً فشيئاً ولم يعد قادراً على الإمساك بالهاتف للاتصال بابنته، بل أصبح لا يستطيع التنفس، بدأ يفقد الإحساس بجسده.. تعلقت عيناه بالنافذة المفتوحة كنظرة أخيرة يودع بها الحياة، ثم أغلقهما للأبد.

****

حادث

قسوة

عندما أخبرها بقرار هجرته بكت.. رجتهُ أن يبقى معها ألا يتركها، شهقت على صدره، ذكرته بوعده لها بعد الحادثة بعدم التخلي عنها، لكنه صرخ في وجهها بقسوة:

-أنت عديمة الفائدة.. لا قيمة لك عندي.

انفجارات الحروف تدوي في صدرها، نظرت إلى ساقيها العاجزتين وتذكرت تجاهله لها.. عدم سماعه لشكواها أو استجابته لمطالبها، مضت سنوات خمس بعد الحادثة ختمها بتلك الجملة الثاقبة النافذة الموجعة في القلب محمله بقسوة ملامحه ووحشة طباعه.

بر

أنا وابني نتصفح وجه السماء.. نقرأ تلك الكلمات التي يحملها وجه السحاب فيصيح بمرح:

-هذا اسمي.. وهذه رسالة لك.. هنا علامة استفهام وهناك أخدود كبير.

رغم صغر سنه يحملني في عمق عينيه ويهدهد ذلك الأنين المتصاعد من نفس ملتهبة.

أمل

كنت أمسك بالألوان أرسم ساقي المبتورة وهي تسابق الريح، والفراشات تطير فوقي، والطيور تحوم حولي، ودمعة كبيرة تسقط من كبد السماء فيتخللها قوس الألوان فأدحرج حلمي فوقه وأستقبل الصباحات الأبدية.

****

سبقتني إلى الجنة

1

صمت مهيب يحاوطه.. مساحات من الفراغ تتعمق كلما توغل بين المقابر.. يحملها بين يديه يعرف الطريق إلى المقبرة الوحيدة الخاوية من مقابر العائلة.

قال له الشيخ بعد أن غسلها وكفنها: "يجب أن تُدفن حيث يُدفن الجسد"، يسير بثقل ليلة ساهرة ماضية واقفاً بجوار غرفة العمليات في انتظار الساق التي يبترونها.. يخرج الطبيب ممسكاً بكيسٍ أسود يعطيه له ويطمئنه على استقرار الحالة.

ينظر إليها بحسرة تلك الساق التي طالما حملتها وهي تصنع لنا الطعام وتغسل لنا الملابس وتنتظر من يتأخر في الشرفة.. تلك الساق التي كانت تسعى على أرزاقنا.. تلك الساق التي ترك الشقاء بصمته عليها فأصابتها الغرغرينا.

وقف أمام المقبرة يخالجه الألم كيف سيواجهها بالحقيقة؟.. يهبط يثني ركبتيه ويكور جسده كي يمهد الأرض ويساوي التراب، يضع الساق جانباً ويغلق الباب بإحكام، ثم يستدير عائداً حتى يتلاشى الفراغ خلفه ويستقبل الطريق المظلم.

2

في غرفة الإنعاش الباهته حيث الأموات الأحياء تحت وطأة الأجهزة الطبية كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة وهي تبحث عن تلك الساق التي كانت تؤلمها.. عيناه تقطر ملحاً وصوته يتحشرج في حلقه وهو يقول:

-سبقتك إلى الجنة.

عقيمة الكلمات حين لا تعبر عن أعماقنا، دفن وجهه في صدرها فأطلقت زفرة طويلة وهي تقول:

-لست في حاجة إليها فقد كبرتم.. أليس منكم من يستطيع حملي!!

رفع رأسه وهو يقبل يديها ومن خلفه أخوته ينتحبون في مشهد حزين، تبسمت كي تخفي آلامها طالبة منهم الرحيل.

3

وحدها تنظر إلى سقف الغرفة، تطوي ذكريات سعيها الدؤوب في تربية الأولاد، وتستقبل أياماً لا تعرف ماذا تخفي بين طياتها لكنها تعود وتبتسم:

-لقد سبقتني إلى الجنة.

****

طَرقٌ في منتصفِ الليل

طَرقٌ مخيفٌ على الباب وعلى النافذة، يختلط بمعزوفة أنفاس مختنقة ودقات قلب تصارع البقاء.. ينهض بتثاقل يفتح الباب لا يجد أحداً.. يذهب النوم عن عينيه، يجلس يسترجع أحداث يومه الكابوسي عندما عاد من العمل ليجد أخته فارقت الحياة، لا يدري كيف حدث هذا فقد اتصل بها قبل عودته ولم يبدُ في صوتها شيء غير مألوف.

عاد الطرق.. يسرع بفتح الباب، يلمح طيفاً يصعد الدرج تتصاعد أنفاسه يغلق الباب بخوف، لكن الطرق يتواصل أشد من المرات السابقة ليس أمامه خيار آخر، يفتح الباب يتتبع الطيف يصعد الطيف بخفة إلى السطح، يصعد خلفه يلهث من شدة الركض.. يقف على السطح وحيداً يتلفت حوله ولا يجده.. ينادي عليه:

-أين أنت؟

لا من مجيب.. يصرخ بأعلى صوته:

-إن كانت لديك الشجاعة فواجهني.

يلمح شيئاً يطير في الهواء ويهبط على وجهه، يمسكه بين يديه يتعرف عليه إنه وشاح أخته التي كانت ترتديه في الصباح، يحتضن الوشاح الذي يحمل رائحة عرقها ممزوج برائحة العطر المفضل لديها.

يأخذه وينزل إلى الشقة يحدث نفسه: لماذا أرسلت لي هذا الوشاح؟
يقلبه بين يديه يبصر ثقباً كبيراً على أحد أطرافه، عندما غادر في الصباح لم يكن ممزقاً، كان لا زال نديا من المنتصف، نعم تحقق مما شك فيه ذلك البلل هو لعاب أخته يهمس لنفسه:
-إذاً قُتلت بوشاحها! تُرى من فعلها؟
تذكر علبة الذهب التي ورثتها عن أمها، أسرع إلى خزانة الملابس، بحث عنها ولم يجدها، إذاً القاتل سرقها باحترافية كان يعرف موضعها لم يتعب في البحث عثر عليها بسهولة.

يشرد يتذكر اليوم السابق للحادثة اتصلت به وهي تبكي فذهب إليها، وجد زوجها يتشاجر معها ويطلب منها أن تعطيه الذهب كي يعوض خسارته في التجارة لكنها رفضت، رفع يده ليضربها؛ فأسرع وأمسك بيده في تحدٍ بألا يؤذيها وإلا ستكون العواقب وخيمة، وانطلق الشرر من عينيه غضباً على أخته، فاستسلم الزوج وغادر صافعاً الباب خلفه، لم يشأ أن يتركها وحدها مكث معها لحين اسقرار الأمور.
عندما تركها في الصباح وذهب إلى عمله كانت بخير، وحين عاد وجدها ملقية على الأرض، حملها إلى المستشفى ظناً منه أنها في حالة غيبوبة لكنهم أكدوا له أنها فارقت الحياة، وفي انتظار تقرير الطب الشرعي.

بعدما تأكد من سرقة الذهب انطلق إلى زوجها بسرعة، وأخذ ينهال عليه بسيل الاتهامات لكنه أنكر ما حدث، أخبره أنه رغم كل قسوته مع أخته إلا أنه كان يحبها ولا يستطيع فعل شيء كهذا.. اقتنع حين شعر بحزنه على فقد زوجته.

عاد يبحث في حجرتها لعلّه يعثر على أي دليل يقوده إلى الحقيقة، فوجد خاتم زواج أسفل الفراش أمسكه وقلب فيه لمح اسم صديقتها مكتوب داخله، قرر أن يراقبها وبعد عدة أيام من المراقبة رآها تتسلل بحذر وتخفي شيئاً تحت ملابسها، تسرب الشك إلى عقله فأخذ يسير خلفها في خفة حتى استقلت سيارة من السيارات التي تسافر بين المدن، دس رأسه بين صفحات الجرائد وركب خلفها، وعندما وصلت السيارة إلى المدينة الكبيرة نزلت بشيء من الطمأنينة ودلفت داخل الزحام حتى وصلت إلى محل لبيع المجوهرات؛ فدخل وراءها ورآها تخرج علبة الذهب وقف أمامها وسألها بألم:

-لماذا خنتِ من استأمنتك على سرها؟

انهارت وأخذت تجري تاركة خلفها الذهب وسهاماً من الأسئلة لا يصدها سوى قناع الغيرة والخيانة.

****

حلم يوم ماطر

صباح يوم ماطر تزدحم الأفكار في رأسها عن يوم شتائي بارد سيعبر عليها دون عمل؛ فهذا السيل أغلق السوق ولن يخرج الناس للشراء.. تتنفس بعمق الذكريات قبل رحيل الأب كانت تعيش حياة الأميرات، لا تفعل شيء سوى الجلوس بجوار نبع الماء ترسم على صفحته صورة ذلك الفارس الذي سيأتي يوماً ويحملها على حصانه الطائر، كعادة كل البنات يعشن الأحلام مجابهة لواقع سحيق.

وفي يوم أليم جاؤوا بالأب محمولاً فوق الأعناق بعد أن أصابته سهام الأعداء.. وقع عليها عناء رعاية أم ضريرة وأخ صغير، نسيت هيام الأحلام وانشغلت بجوع البطون.. مرت الأيام بقسوة كبر الأخ ورحل مع الفرسان وازدادت الأم مرضاً وزاد العبء عليها.

لكنّ اليوم ماطر ولن تذهب إلى السوق فلا بأس من الذهاب إلى النبع والجلوس بجوار صفحة الماء.. قطرات المطر تتساقط فوق سطح الماء محدثة دوائر راقصة فتتلاشى داخلها، وفجأة يراودها حلم فارس الأحلام.. يدخل معها في تلك الدوائر ويطلب منها رقصة الشرف، تدور معه في خطوات منتظمة ثابتة ممسكة بطرف ثوبها الطويل متجهة بعينيها إلى الأسفل تتبع قطرات المطر وتدور حولها.

تنتهي الموسيقى فيختفي ويغوص في الماء.. كانت تغمض عينيها منتشية بالحلم حين فاقت على صهيل حصان بجوارها، ثمة من يتمدد عليه مسجى في دمائه مصاباً برمح أعلى الكتف، أسرعت إليه وأنزلته من فوق الفرس أراحته بجوار صفحة الماء، غسلت جرحه بماء النبع وربطته بشالها الأحمر الوحيد، وعندما سقته بيديها فتح عينيه ورأى منقذته.. ذائبة الكلمات على شفتيه منتشياً بموسيقى المطر.. لحظات قليلة مضت كأنها عمرمن السعادة.. عرف أن القدر كان عند قدم فرسه عندما جاء به إلى تلك البقعة من العالم أفضى إليها بأسرار السنين.. احمرت وجنتاها خجلاً وأخبرته بأمر أمها الضريرة، رد بحسم: ستكون أماً لي.

حملها على حصانه وتلاشى تحت المطر.

****

تنويعة

1

عندما تنقطع الكهرباء نجتمع أنا وإخوتي حول الشمعة الوحيدة في بيتنا.. نترك هواتفنا وننظر إلى الظل الذي تخلفه خلفها فتتشابك أصابعنا لنصنع قروناً ووجوهاً لكائنات تشبهنا فنضحك نضحك، ونظل نحكي عن أيام طفولتنا عندما كنا نجري ونختبئ ونبحث عن بعضنا.

في الظلام لا نعرف الوقت ولا نسأل عنه حتى تنتهي الحكايات وتعود الكهرباء فنسرع إلى هواتفنا.. هكذا يجمعنا الظلام ويفرقنا النور.

2

صديقتي الوحيدة تخبئ العالم تحت وسادتها فإذا نام الجميع أخرجته تقرأ ملامحه وتبكي سألتها يوماً: لماذا تبكين؟

قالت: كنت جزءاً من التاريخ لكن الجغرافيا بصقتني في زاويته.

3

انتزعتها بوحشية من مكانها، ووضعت أخرى فتية أتباهى برونقها، نظرتُ إلى القديمة بقسوة وقلت لها: سيأتي من يرغب فيك.

انزوت على نفسها تذكرت الشقاء الذي تحملته في غسيل الملابس وهي تشهد مراحل نمو الأطفال من الرضاعة للحبو للمدرسة للجامعة والآن بعدما ضعفت انصرفوا إلى أخرى حديثة تشهد أيام راحتهم.

4

أينما سرت تطاردني العرفات لتنبئني بسوء الطالع وبكوارث مستقلبية محتملة، فأهرب منهن وأغلق الأبواب وأنا أصيح:

-كذب العرافون ولو صدقوا.

أعرف أنهن كاذبات يغرن من براءتي رغم كل العثرات التي صادفتني.

****

ربما كان مثلهم

ملتحفاً بالسكون غارقاً في الذكريات، كان يجلس أسفل الراية وسط الفناء المدرسي، ينظر إلى الأطفال الذين يلعبون أمامه ويحدث نفسه:

ربما صار مثل هذا الولد.. لا.. لا كان قريباً في الشكل من ذلك الولد.. لا بل كان مشاكساً أو هادئاً أو.....

منذ أخذته أمه وهربت وأنا لا أعرف عنه أي شيء سوى أنّه كان يشبهني، ربما يكبر يوماً ويراوده الفضول برؤية أبيه فيأتي باحثاً عني.

-يا عم حسين افتح الباب.

يلتف حوله الأطفال صائحين ينتشلوه من صمته كي يغادروا إلى بيوتهم بعد انتهاء اليوم الدراسي، يهمس لنفسه:

- آه لو كان لي بيت لكنت أول المغادرين.. لكنها لم يعجبها فقري فهربت تبحث عن وهم الثراء.

يفتح لهم الباب ويقف ينظر إليهم وهم يندفعون إلى الخارج بسرعة ومرح.. وفجأة يجد نفسه وحيداً وسط أسوار المدرسة العالية، فيعود إلى جلسته أسفل العلم وهو يغوص في التذكر:

-ربما كان يشبههم!

ثورة الطماطم

كانت لي صديقة بائعة طماطم قلبها بلون الصفاء، ويدها مخضبة بالعطاء كلما مررت من أمامها أعطتني عنقود كرزي لأجمّل به طبق السلطة، تحب بضاعتها القليلة تنظر إليها بحنان أم وهي تحدثها عن أحلامها الصغيرة بالزواج وبالربح الوفير.

قلبها الذي يشبه حبة الطماطم نبض بالعشق لزميل لها في المهنة، أسرها بمعسول الكلام وأخرج صنارته بصيد نفيس، تزوجها بعد أن تنازلت عن حلم الشبكة والشقة وفوقهم ترك لها العمل، وتفرغ لجلسات المقاهي وسهرات الأصحاب، وفي آخر الليل يأخذ حصيلة يومها في الشقاء.. لم يشعر يوماً أنها زوجته ولم تبصر عيناه جمالها الأنثوي؛ فأخذ يبحث عن أخرى تملأ فراغ حياته.

بخنجر الخيانة طعن قلبها بجرح عميق، فانهمر نزيف الألم لم تستطع أن توقفه إلا برغبة الانتقام ممن سرق سنوات عمرها وقتل أحلامها البسيطة، فاستلت سكيناً وانتظرت عودته، لكن تلك الأخرى كانت تحذره من ثورة الغضب، فابتعد وتجنب العودة.

ويوماً وهي تجلس بين أكوام الطماطم أبصرته يمر من أمامها، اشتعلت النار داخلها وأمسكت السكين لكنه كان أسبق منها بحركة مباغتة استقرت في قلبها.

سقطت على حبات الطماطم فاختلط دماؤها بمياه الحبات النازف.. حملتها الشرطة بعد هروب القاتل، فغضبت الطماطم وثارت وخرجت تصرخ في الشوارع:

-إن لم تقتصوا لنا سنلطخ بيوتكم بالدماء التي لم تجف في عروقنا.

نظر الناس إليهم باستهزاء:

-لم ينقصنا سوى ثورة الطماطم!

يئست حبات الطماطم فتجمعوا في قوافل، وهجوا إلى الجبال والصحارى وهم يهتفون:

-يسقط.. يسقط كل العشق.

وعندما أراد الناس استبدالهم بأخرى لم يجنوا سوى ثماراً عفنة لا تصبغ الطعام، ولا تُداوي القلوب العليلة، ولا تُقوي الأبدان الضعيفة.

****

النزع الأخير للضرس

يقف في شموخ ينازع لحظاته الأخيرة يشغلني بالألم، يصارع البقاء من أجل قوة مزعومة لطحن كل ما يعترض طريقه، وعندما فشلت كل محاولات الإصلاح ومسكنات الألم جئت إلى الطبيب الذي يطبق عليه من كل جانب يحاصره بأسلحته الحديثة، يحاول تحريك جبروته فيهتز ويهتز معي الألم، وأعود بذاكرتي إلى الوراء وأنا أقف في وجه الشمس وألقي ما في يدي وأغني:

-يا شمس يا شموسة خدي سنة السوسة وهاتي سنة العروسة.

تحتضني أمي وتقول بفرح: لقد أصبحت كبيرة مثلنا.

لازال يقاوم يريد البقاء رغم نزيف الجرح، والطبيب يحاول معه بكل ما أوتي من قوة حتى ينجح في زعزعته، ينزعه من فوق عرشه يلقيه في راحة يدي.

أنظر إليه بشفقة رغم كل ما فعله بي كان مجبراً على تلك المناورة فقد هاجمه السوس وانتزعته يد الطبيب بقسوة، فأتذكر عندما تحسست فكي ووجدته جريت إليها بمرح:

-أمي لقد نبت لي ضرس كبير هنا.

ضمتني بشفقة وهي تقول: الآن أنت كبيرة.

نعم أنا الآن أربعينية.. قبضت يدي عليه وأنا أقول:

-تُرى ماذا ستفعل أمي عندما تراه؟!

****

الدفاتر القديمة

الحجرة عتيقة تفوح منها رائحة العطن؛ دفاتر بالية.. أثاث قديم.. أوراق ممزقة.. مجموعة من الموظفين كبار السن عفا الزمن عن أغلبهم؛ فمنهم من يرتدي نظارة ذات عدسات مقعرة، ومنهم من لا يسمع بدون سماعة طبية، ومن يحقن نفسه بالأنسولين، ومن يلقي برأسه فوق المكتب فقد نسي أو تناسى تناول علاج الضغط.

يعيشون منذ زمن في هذا القمقم.. لا يعترضون على شيء.. يتبادلون على فترات طويلة من الصمت أخبار بيوتهم، أو ينظرون على فترات أطول في دفاترهم لينجزوا بعض الأعمال البسيطة.

اليوم مختلف قليلاً بالنسبة لهم فقد انضمت إليهم موظفة جديدة هي "الحاجة منى"، لم يلفت انتباهم أنها أصغر منهم سناً ولا أنها تتمتع بقدر من الجمال والعافية ولا أنها جاءت من مكان بعيد ولا... فقد اعتادوا كل شيء، تبادلوا معها التحية، ثم انصرف كل واحد منهم إلى دفتره ينظر فيه بلا وعي أو تركيز.

ارتاحت الحاجة منى إلى الهدوء الذي يغلف المكان فهي لا تميل إلى الصخب أو الضجيج، تعشق السكون النفسي والجلوس في صمت، فهمت طبيعة العمل البسيط الذي ستقوم به، ثم فتحت "المصحف" تقرأ وردها اليومي،

وبعد أن انتهت تذكرت الحوار الذي دار بينها وبين زوجها منذ أيام مضت عندما أخبرها برغبته في الزواج بأخرى، لم تبدِ اعتراضها حين أخبرها أنه لن يفعل ما يخالف به الشرع، لكنها سألته عن السبب؛ فقال لها بمنتهى القسوة أنها كبرت ومن حقه إنعاش قلبه مع صغيرة كي يخف العبء عنها، صمتت واكتفت بنظرة عتاب طويلة لكنه أشاح بوجهه بعيداً عنها، عرفت وقتها أنها لن تستطيع الوقوف أمامه أو منعه فقد اتخذ قراره وسيفعل ما يريد سواء رضيت أم أبت، لم تمنع نفسها من البكاء:

-ماذا تعني كلمة كبرت؟

هل كبرت مع رجل غيره؟ لقد كبرت معه أعطيته زهرة شبابي.. أنجبت له البنات والبنين.. أفنيت عمري معه ومع أبنائه.. لم أهنأ بالنوم لليالٍ طويلة من أجل راحتهم، وبعدما كبر الأبناء وخف العبء عني، وأردت أن أتمتع برفقته وصحبته يتهمني بالكبر!

تهز رأسها بأسى وهي تردد:

-لا يهم فقد رزقني الله بأحفادٍ وأرسل لي ابني- الذي يعمل بالخارج - دعوة لزيارته وحج بيت الله الحرام. ما أجملها من دعوة!

عادت إلى سكون المكان ورتابة الأشياء حولها فوقعت عيناها على الدفاتر القديمة.

****

مرايا الطفولة

الليل يحوم بأجنحته في الغرفة الضيقة فيثقل الهواء.. يتشبع بسموم المقابر المغلقة منذ آلاف السنين على جثثٍ محنطة، وفي الزاوية يتكوم جسد صغير يصدر أنيناً مكتوماً، ما يلبث أن يستحيل لزفرات ألم فتتحرك الريح الساكنة خلف النافذة وتتبدل الجدران إلى مرايا:

المرآة الأولى

طفلة تعود بفرح طفولي من المدرسة تحمل حقيبتها الصغيرة فوق ظهرها، يلتف حولها أخوتها الصغار يعبثون بكراستها التي تزينها نجوم التفوق، لكن أمها تصيح فيها كي تُطعم الطيور قبل أن تذهب بها إلى السوق.

المرآة الثانية

عندما سمعت صيحة عظيمة خرجت تبحث عن مصدر الصوت فوجدت حلقات كثيرة من الناس تسللتهم جميعاً حتى وصلت إلى قلب الدائرة.. رأته مسجى في دمه متناثرة جمجمته تحت الأقدام؛ فعرفت أن سيارة طائشة اغتالت أبيها لم يسقط من أعلى كعامل محارة كما كانت تخشى أمها إنما سقط تحت عجلات السيارة أثناء عودته.

المرآة الثالثة

ماكينة التعبئة تضج بسرعة العمل تقف أمامها تتلقف العبوات لترصها في الصناديق الخاصة بها.. ينساب شعرها الذهبي من تحت غطاء الرأس على غفلة منها فيبصرها صاحب المصنع، يساومها على يوم راحة مقابل أن.....

هذا ما لم تستطِع البوح به لأمها عندما دفعتها إلى العمل لتطعم تلك الأفواه الصغيرة.

المرآة الرابعة

في يوم الراحة تحمل حقيبتها وتذهب إلى المدرسة لكن النجوم غادرت كراساتها وتبعثرت في السماء، والبنات يغرقن في قصص العشق ممتلئة كفوفهن بحلوى لم تعرف مذاقها يوماً، وعندما ضبطتها المعلمة تضحك ذات مرة على نكتة تافهة عاقبتها بسيل من السباب.

تضيق الحجرة.. تخرج من المرايا مرايا بعدد سنواتها؛ فتنفلت منها صرخات متوالية لازال يحملها الفضاء وتتذكرها كلما لمحت فتاة صغيرة تعمل في مصنعها الكبير.

****

لازالت تنتظر

-مؤلمة هي لحظات الوداع.

يحمل مخلته على ظهره وطفلته الصغيرة بين يديه، يضمها إلى صدره، تطوق ذراعيها القصيرة رقبته، يسير ببطء حتى يصل محطة القطارتتبعه زوجته، لازال الوقت باكراً لم يصل القطار بعد، يتلفت حوله يجد حجر مرتفعاً عن الأرض فيجلس عليه ويضع طفلته على ساقه، بحركة مباغتة يمسح دمعة سقطت قسراً ينفض حزن عينيه وهو يقول بمرح مصطنع:

-سأذهب لأهزم العدو وأحرر الوطن.

-ماذا تعني يا أبي؟

-سأذهب إلى الحرب وأعود سريعاً.

-لكني أريدك معي.. من سيحكي لي الحكايات ومن سيحضر لي الحلوى التي أحبها؟

-انتظريني سوف أعود بسرعة.

-وعد يا أبي؟

-وعد يابنتي.

جاء القطار وتزاحم الركاب والجنود يندفعون بقوة.. ينهض بتثاقل يلقي عليها النظرة الأخيرة.. تلوح له بمرح:

-لا تنسَ يا أبي سأنتظرك هنا.

هزّ رأسه وركض مع الجنود تسبقه دموعه وأمل في أن يرسم غداً أفضل لابنته بانتهاء المعركة، عادت الصغيرة مع أمها تسألها بحزن:

-متى سيعود أبي؟

ردت وهي تواري دموعها:

-عندما تنتهي المعركة.

جلست أمام التلفاز تبحث عن أخبار المعركة، ولم تعرف أي معركة سيتحرر فيها الوطن حتى غلبها النوم، وفي الصباح خرجت إلى المحطة، رأت الحجر الذي جلس عليه أبيها خاوياً فوقفت بجواره تنتظره، وعندما جاء القطار نزل بائع السميط فنادت عليه وسألته ببراءة:

-هل رأيت أبي مع الجنود؟

رد بعد تردد:

-لا.. ما اسمك يا صغيرة؟

-اسمي منى ويدعوني أبي بميمي.. وأنت ما اسمك؟

-عمو أحمد.

-عمو أحمد كأبي.. أبي أيضاً اسمه أحمد!

-اسمعيني يا ميمي عودي إلى بيتك وعندما أرى أبيك سأخبرك.

عادت تتعثر في خطواتها وهي تقول لنفسها "ربما يعود غداً"، وكل غد يجيء تذهب إلى المحطة وتسأل عنه كل من يهبط من القطار فيمازحها الأغراب

ويحنو عليها كل العارفين لأبيها من الباعة الجائلين وأهل الحي.. حتى جاء اليوم الذي سمعت فيه خبر النصر من التلفاز فأسرعت إلى المحطة ووقفت تنتظر وصول القطار عندما رأت الجنود يتوافدون مجموعات، مجموعات غمرتها الفرحة وحيتهم تحية النصر لكن لم يكن أبيها بينهم، رآها بائع السميط تبكي فقال لها:

-لا تحزني ربما يعود غداً فهم يأتون تباعاً.

مسحت دموعها وغادرت المحطة بعد أن وعدته بأن تعود في الغد،

ومع أول أشعة الشمس كانت تأخذ مكانها فوق الحجر المرتفع عن الأرض وانتظرت حتى جاء القطار الأخير لهذا اليوم ولم يكن به سوى جندي واحد فقط ركضت نحوه وسألته بلهفة:

-هل رأيت أبي؟

نظر إليها بشقة ويسألها:

-من أبيك؟

-أبي أحمد بائع الخبز.

اغرورقت عيناه بالدموع وحملها بين ذراعيه وقال بصوت خافت كأنه ينبعث من عالم بعيد:

-نعم رأيته وهو يحمل الراية.

-أي راية؟

-الراية هي علم بلادك.

-ذلك العلم ذو الألوان الثلاثة؟

-نعم حمله أبوك وخاف أن يسقط منه على الأرض فتشبث به حتى ثبته وسقط هو.

-ماذا تعني؟

-أعني أنه أرسلني بهدايا كثيرة، لأخبرك إنه سيمكث هناك يحرس العلم.

-ومتى سيعود؟

-لا أعرف لكن ربما يأتي يوماً ونذهب إليه.

سار معها إلى البيت ليخبر أهله، يحمل مخلته فوق ظهره وفي قلبه الكثير من القصص وشيء من الألم.

****

محاضرة

القاعة تمتلئ بالنساء.. تتعرف كل واحدة على الجالسة بجوارها وتعلو أصواتهن بالثرثرة.. لكأنهن تعارفن منذ أزمنة طويلة، فتجري الإلفة بين القلوب وتبدأ كل واحدة بسرد قصتها همومها.. مشاكلها.. عدد أبنائها.. طبيعة زوجها وما فعله بها الزمن.

تتعمد المدربة أن تتأخر عن الميعاد المحدد لكأنها جمعتهن للفضفضة للتخلص من ذلك الثقل الجاثم فوق الصدور، وتتلصص عليهن من حين لآخر سعيدة بتلك الابتسامة التي تعلو الوجوه.. حتى لمحتها تجلس بينهن في صمت؛ فتاة لم تتجاوز عامها العشرين تمسك بهاتفها يبدو أنها منشغلة بمحادثة على الواتس.. يمتلئ وجهها بالغضب والشجن معاً.. فشعرت أنها يجب أن تبدأ المحاضرة، تدخل إلى القاعة بمرح تنثر ابتسامتها على الجميع، وقفت أمامهن رفعت يدها وضمت أصابعها في قبضة ليتوقفن عن الثرثرة، فتقطع كل واحدة حديثها وتنظر إليها مشدودة.

تبدأ حديثها كالماء الذي ينساب من النبع:

-محاضرتنا اليوم عن التصالح مع الذات.. هل من الممكن للإنسان أن يخاصم نفسه؟ هل معنى هذا أنه يوجد داخلنا اثنين أنا وذاتي؟.. نعم أنا كينونتين.. كينونة ما هو كائن بالفعل وكينونة ما يجب أن يكون..

أحلامنا كثيرة لكنها صعبة التحقق.. كنت تريدين أن تصبحي طبيبة ناجحة فوجدت نفسك ربة بيت بمرتبة الشرف.. تريدين الاعتناء بجمالك لكن ضغوط العمل جعلتك لا تجدين وقتاً كافياً لذلك..

وقفت إحدى الحاضرات وسألت بأسى:

-وماذا نفعل كي نحقق ما نريد؟

-يجب أولاً أن نكف عن لوم أنفسنا عن الأشياء التي لم نستطع إنجازها في الماضي.. لكل مرحلة سقف طموحتها.

تقف إحدى الأمهات التي يبدو عليها التعب والإرهاق:

-أنا نفسي في حاجة واحدة أن أنام من غير ما أصحى على صوت بكاء أو شجار بين العيال محتاجة أناااااااااااااااام.

تضحك بعض الفتيات اللاتي لم تتزوج فتعلو الدهشة ملامح المدربة:

-أرى البعض يضحكن لكني أعرف أنها مأساة.. عدم حصول الأم على احتياجاتها الأساسية كالنوم ليس بسبب إزعاج الأبناء، لكن بسبب عدم تعاون الآباء.. التربية فعل مشترك بين الزوجين لا تنفرد به المرأة وحدها.

يحظى كلامها على رضا الجميع وتحدث ضجة ترفع كل امرأة صوتها بمشكلتها مع الزوج والأبناء فتطلب منهن الهدوء:

-نحن هنا للبحث عن حلول لا للثرثرة سأسمع الجميع لكن بنظام سنبدأ أولاً بعروس حديثة الزواج لنعرف ما المشاكل التي تعانين منها؟

تنهض واحدة لازالت تحتفظ بجمالها ورونقها:

-من بعد أسبوع العسل وأنا أعاني من الوحدة.. آه الوحدة فزوجي الذي أبهرني بحبه في فترة الخطوبة أصبح يقضي يومه خارج البيت.. بعد الانتهاء من عمله يذهب ليسهر مع أصدقائه ولا يعود إلا في منتصف الليل بعد أن يفقد طاقته يعود لينام استعداداً لليوم الجديد.

تلاحقها نظرات الدهشة وتحريك الفم يميناً ويساراً وبعض الغمز واللمز فتسارع المدربة بالرد عليها قبل أن تشعر بما يدور حولها:

-كل ما سمعناه إن دل على شيء فهو يدل على شدة حب زوجك لك لكنه لا يريد أن يأسر نفسه داخل جدرانك يخشى أن يسلمك مفاتيح قلبه فتعبثين بها وذلك ناتج عن تجربة حب قديمة أصابته بالخزي والخوف من النساء.. الحل في يديك كما استطاع أن يجد عالماً بعيداً عنكِ، ابحثي لنفسك عن عالم بديل كأن تتعلمي مهارة من المهارات اليدوية.. عودي إلى أصدقاء الجامعة، حددي معهم موعد لقاء أسبوعي، اخرجي اذهبي إلى رحلات ترفيهية لا تحبسي نفسك فيه، عيشي حياتك.

تنظر إلى الحاضرات وتقول بابتسامة رقيقة:

-الآن المايك للمخطوبة.

تنهض إحدى الفتيات يملؤها المرح والاقبال على الحياة فتتحدث بحماس:

-نفسي في حفلة زفاف أسطورية لم تحدث من قبل، نفسي أرقص وأغني وألبس فستاناً مميزاً.

تضحك المدربة وتشير إليها بالجلوس:

-هذا هو حلم كل بنت أن تطل بالأبيض آخر سقف طموحاتها أن تكون ملكة لمدة ليلة واحدة، وبعد انقضاء الليلة تصطدم بواقع مرير فتجد نفسها مسؤولة عن بيت وزوج وأطفال، ولا من معين لها سوى نفسها.

تنظر إلى الحاضرت وتتساءل بمرح:

-هل توجد بيننا آنسة؟

تقف تلك التي ظلت طوال الوقت منشغلة بهاتفها حتى أنها لم تنتبه إلى حديث الأخريات وجهها مليء بالحيرة والشتات كأن شيئاً مفقوداً منها وتبحث عنه تقول بلجلجة:

-نفسي العرسان تنقطع من بيتنا.

تنظر إليها المحاضرة نظرة دهشة وتسألها:

-لماذا يا حبيبتي؟

-لأني لا أريد الزواج سوى ممن اختاره قلبي.

-وما الذي يمنعك من الزواج منه؟

-لا يملك تكاليف الزواج، فهو حديث التخرج ولم يحصل على عمل.

تصمت فتصمت القاعة كلها، الجميع في حالة ترقب فتسألها المحاضرة:

-كم مر على معرفتك به؟

-عامان.

-وكم عام يمكنك انتظاره فيه؟

-ليس بالأعوام انتظره عمري كله حتى يأتي.

فجأة يحتد صوت المحاضرة وتنقلب من الهدوء إلى العصبية:

-حتى لو انتظرتيه عمرك كله لن يأتي لأنه متيقن من حبك له وعندما يكون مستعداً للزواج لن يتقدم لك سيبحث عن أخرى لا تنتظره.. الرجل لا يحب من تبكيه وتنتظره بل يحب من تعذبه.

تبكي الفتاة وتقول بتحدٍ:

-بل سيتزوجني.

-حتى وإن تزوجك سيكون طفلك الذي يجب أن تدللليه طوال الوقت ويجب أن تعطيه كل شيء في جميع حالاتك وتسهرين على راحته وتدفعين كل ما تملكين والمقابل لا شيء، لن يُقدر عطاءك، تضحيتك، آلامك، احتياجك، لأنه منح نفسه كل الحقوق وبرأها من كل الواجبات تحت مسمى الحب.

الآن قولي لي أي رجل في هذا العالم يستحق التضحية؟ لماذا تدفعين بنفسك إلى الانكسار؟ قلبك الذي يشبه كوب الزجاج المملوء بكل هذا الحب سينكسر كل يوم جزء منه وينسكب كل ما فيه وستفقدين كل ما تملكين حتى قدرتك على الحياة ستفقدينها.

تنظر إليها الفتاة نظرة الغريق الذي يبحث عن طوق النجاة:

-وما العمل؟

-اهربي منه.. ابحثي عن سعادتك.. حرري نفسك من أسره.

-لن أستطيع البعد عنه.

-بل ستسطيعين كل الرجال يشبهون بعضهم البعض لا يختلفون سوى في بعض التفاصيل الصغيرة.. ستجدين من يقدرك ويعاملك كأميرة والحب يأتي بالود والاحترام والإلفة.

تضع الفتاة وجهها بين كفيها وتبكي بغزارة فتقترب منها إحدى السيدات وتضمها بين ذراعيها وتعطيها أخرى علبة عصير، حينها تكف المدربة عن الكلام وتمنحهم استراحة قصيرة تنسحب من أمامهم.. تدخل قاعة جانبية وتسكب باقي دموعها وهي تتذكر سنوات الانتظار بكلامه المعسول وهو يعدها بأنه يجهز عش الزوجية.. رفضت كل الذين تقدموا لخطبتها وتلبستها حالة النبل الإنساني حتى تخطت عامها الثلاثين وبعد أن تمكن من تأسيس الشقة ذهب إلى أخرى، ولم تعرف خبر زواجه سوى من النت من صفحته التي تتابعها على مدار اليوم.. تحطم قلبها للحد الذي لا تستطيع الوثوق في أي رجل في العالم.. أغلقت كل الأبواب التي تسمح بمرور الآخر وتفرغت للعلم والقراءة والتدريس في الجامعة حتى طُلب منها أن تحاضر اليوم في إحدى الجمعيات النسائية.

****

الخياطة

-تك... تك... تك

الغرفة مليئة بالنسوة يتحدثن في آن واحد كل سيدة تستغل تلك الزيارة للفضفضة ولعرض مشكلتها في الحياة.

-تك تك.... تك تك

آلة الخياطة لا تتوقف عن الجري فوق القماش بينما ترد نبيلة على كل واحدة منهن على حدة، لا تزعجها ثرثرتهن ولا صوت الآلة فقد اعتادت على هذا الضجيج.

منذ مات زوجها وهي تعيل أسرتها برفيقة عمرها.. كان كل همها أن تربي أبناءها وتوفر لهم احتياجاتهم فلا يشعرون بالحرمان من شيء ولا يعانون مما عانته من قسوة الفقر.

-تك.... تك... تك

كبر الأبناء وصار لهم شأن بفضل الخياطة وعملوا بوظائف مرموقة، ويحاولون إقناعها بأن مهمتها انتهت وعليها أن تستريح، لكنها رفضت فهي تعتقد أنها مادامت تملك العافية والقدرة على العمل فلا يجب أن تثقل على أحد.

كانت تظن أن الأمر مجرد بحثهم عن راحتها حتى أخبرتها إحدى القريبات أنه لم يعد يليق بهم أن تعمل أمهم خياطة.

-تك... تك

لم يكن لها رفيق في حياتها سوى تلك الماكينة.. كم عرفت من قصص وحكايات من النسوة اللائي يترددن عليها! وكم صنعت فرحة للفقراء في يوم العيد! وكم حاكت من ثياب لأصحاب الذوق الرفيع! وعندما تجلس وحدها لا تجد من تحدثه سواها.. صوتها يتغلغل في النفس فتنسى ما بها من قلق وحزن وخوف وتنسجم مع تلاحم الخيط بالقماش.

-ت.... ك.... ت...

تحت ضغط الأبناء وإلحاحهم قبلت أن تعتزل المهنة لكنهم تركوها حتى تنهي ما لديها من عمل، بعدها سيتبقى لها مهمة أخيرة تودع بها تلك الماكينة ستصنع كفناً لها وليكن آخر شيء تصنعه.

****

مَنْ يستغنِ يغنِه اللّه

الغرفة ضيقة تحوم فيها أدخنة السجائر والغبار المتصاعد من فناء المدرسة، وتلك المروحة المتهالكة فوق رأسه تصدر أزيزاً مزعجاً لكنه اعتاد عليه ورغم كونها لا تنجح في جلب الهواء إلا إنه يعتز بها فهي رفيقته منذ مجيئه إلى هذه المدرسة وقيامه بمهام السكرتير.

المكان لا يخلو من حركة الأقدام فهذا يدفع مصاريف أبنائه.. وذلك يحصل على ختم الشعار. لكن هذا الشهر من العام يختلف عن باقي الشهور حيث يغلق فيه موازنة العام كله، كان ماهراً في عملية الحسابات فهي وظيفته التي لم يعرف غيرها، استطاع هذا العام توفير مبلغ ألف جنيه كان قد استقطعها من الأنشطة المدرسية والمصروفات النثرية.

نظر إلى المبلغ بتردد ماذا سيفعل به.. هل يرده إلى ميزانية المدرسة أم يورده للإدارة؟.. كانت أطرافه ينهشها الألم فقد زاد منسوب السكر في دمه بعدما انقطع عن شراء الدواء واكتفى بتلك البدائل عديمة الجدوى التي يصرفها من التأمين الصحي، راودته نفسه في تلك الألف جنيه فهي بالكاد تكفي ثمن استشارة طبيب ماهر في حالته، قد يكون حق مكتسب مقابل ما يؤديه من عمل.. وها هي الفرصة واتته لن يعلم أحد بشأن هذا المبلغ، ثم

إنه كان سيذهب إلى جيوب المختلسين الذين ينهبون وزارة التربية والتعليم.

هكذا شجع نفسه ودس المبلغ في جيبه، ثم استعد للانصراف فأغلق المروحة وأحكم وضع الاقفال على الباب، وخرج إلى الشارع جيبه منتفخ قليلاً فكر أن يمر أولاً على الجزار ليشتري كيلو من اللحم بعدها يذهب إلى الطبيب، سار بضع خطوات لاحت له صورة أبيه العامل الفقير الذي كان يرفض مساعدة الناس له ودائماً يردد:

-ومَنْ يستغنِ يغنِه الله.

شعر أن قدميه تتوقف ولا تقوى على السير لخطوة واحدة، ربما من شدة الألم وربما ليقظة الضمير، استدار وعاد إلى المدرسة متحججاً أنه نسي بعض الأوراق، فتح باب الحجرة، ثم فتح الخزنة ووضع الألف جنيه، عاد إلى الشارع مرة أخرى وهو يردد بكل خطوة يخطوها:

-ومن يستغنِ يُغنِه الله.

وكلما قالها أسرع في الخطى:

-ومن يستغنِ يُغنِه الله.

يسرع أكثر وأكثر حتى لم يعد يشعر بالألم الذي يأكل قدميه.. يردد بحماس:

-ومن يستغنِ يغنِه الله.

يشعر بنشوة الانتصار فها هو قد تغلب على وسواس نفسه وتغلب على آلام قدميه.

****

جدائل الخيانة

صدمة

أتعرفين كيف مات زوجك؟

قتلته امرأة ليلية وضاجعت جثته، اعترفت في محاضر الشرطة أنه شؤم على بني جنسها؛ فهو يدعي الفضيلة ويجلد زوجته كل مساء كي لا تحاسبه على المال الذي يهدره في مجالس الشرب.

مات وآثار السوط بقيت على جسدك، سقطت أقنعته وانكشف ما لم تعرفيه طيلة سنواتك معه لكنك لن تستطيعي محاسبته.

خيانة

ذهبت إليها تشكو ألم الحب ولوعة الفراق.. وعندما رمت نفسها في حضنها شمت رائحة عطره.. هي تعرفه لأنها أدمنته.. غافلتها ودخلت حجرة نومها فوجدت صورتها معه معلقة فوق الجدار، فهمت لماذا يسيء معاملتها ويهجر فراش الزوجية، أغلقت الباب بهدوء وعادت تخطط للانتقام كما خططت صديقتها الوحيدة للخيانة.

ما قاله البحر عن المرأة التي خانت نفسها

بغتة فاجأها الموج.. داعب جسدها المتعب فاستسلمت له ما بين مد وجذر حتى ابتلعها داخله.. تلاشت فيه، وعندما أدركت غيابها أوشكت أن تطلق

صرخة عميقة، لكنه حاصرها وملأ جوفها بملوحته فسرى الخدر في دمها وانفلتت روحها.

ملل

شعرت بالملل فرسمت نقطة بيضاء وتركتها تتشكل تتلون تكبر تتضخم ويخرج منها رجل.. حين رأته يقف خارج النقطة اتخذته وطناً ونسيت أنه مجرد نقطة تشكلت في لحظة ملل.

المتهم

لم تكن نظرته لتلك النائمة بجواره تحمل أي معنى للشفقة بل كانت نظرة سخط وغضب، انسحب من تحت الغطاء.. غسل لزوجة عرقه.. ارتدى ملابسه الميري وزينها بنجومه اللامعة وهو يلوح بسبابته أمام المرآة مشيراً إلى المتهم بالصمت، هو لا يدري أي متهم سيقع في طريقه اليوم لكنه يجب أن يصمت ولا يتحدث في حضرة الباشا.

حين همَّ بالخروج من الغرفة ذكرته زوجته بأنه موقوف عن العمل لحين التحقق من سبب وفاة المتهم.

****

هلوسات كورونا

بالأمس حلمت أن صدري ينشق والرئتان عصفور بجناحين يطير بعيداً ويطير خلفه أوراق الشجر والطائرات الورقية التي كنت أصنعها وأنا صغيرة، فأجري خلفها وأحاول أن أمسك بواحدة قبل أن يختفوا جميعاً في دوامة إعصار مر مصادفة من أمامي.

لازلت محمومة أغيب في الألم، أصحو من وقت لآخر على صوت صافرة الإنذار التي تطلقها أجهزة النبض والتنفس.. أتلفت حولي فأجدها هناك تجلس في المنتصف مدلية رأسها على صدرها تمسك بيد عروسٍ من ورق وباليد الأخرى إبرة: "ومن شر كلّ عين شافتك وما صلتش على النبي"، أرفع رأسي كي أسمع صوتها فلا أجدها، يأتي الطبيب على صوت الصافرة يضع حقنة كبيرة في يدي لا أقوى حتى على التوجع.

منذ ذلك اليوم الذي عوت فيه الريح وبرق الرعد وزرفت السماء كل مائها، وأعلنوا فيه عن قدوم ضيف ثقيل وهو كورونا، الذي يقتل بقسوة وحشية وأنا تلبستني حالة من الفزع؛ فأخاف من الشوارع أعرف أن كورونا تنشر جنودها في الطرقات يتربصون بالرائحين والغادين لا يفرقون بين الطيبين والأشرار لديهم تصريح دخول إلى أي جسد مجاني، تحولنا إلى مشاهدين

ومراقبين ومتابعين لأخبار الإصابات والوفيات والأدوية التي توصلوا إليها والأخرى التي لم تأتِ ثمارها.

درجة الحرارة تواصل ارتفاعها أبحث عنها فلا أجدها، أخرج إلى ساحة بيتنا أجدها تعجن الخبز الشمسي، تخرج يدها من العجين وتناولني رغيفاً ساخناً آكله بشهيةِ مَن لم يأكل منذ عدة أيام، يأتي أبي يمد يده بكيس ورقي "التفاح اللي بتحبيه"، آخذه من يده بفرحة وأجلس على الأرض أعد التفاحات واحدة.. اثنتان.. ثلاث، ثلاثة أيام مروا في غرفة العناية المركزة لا أدري ما يحدث حولي؛ ابنتي فاطمة ذات السنوات العشر لا أعرف عنها شيء لكنها لا تنام إلا على صوتي وأنا أحكي لها حكايات ما قبل النوم، سأحكي لها قصة؛ أفتح باب غرفتي أجدها تنام في فراشي، أجلس بجوارها وأحاول جاهدة أن أمسك بأطراف الحكاية:

"كان في بنت جميلة تحب أمها جداً، وفي يوم من الأيام تعبت الأم وأصابتها كورونا، ولأنه مرض ينتقل بالعدوى ابتعدت عن ابنتها؛ فحزنت البنت لكنها فهمت خوف الأم عليها؛ فقررت أن تسعد ماما بهدية جميلة فأحضرت الورق والألوان ورسمت صورة جميلة لفراشة تطير بين الأزهار "نظرتُ على وجهها، فوجدتها تبتسم وتغمض عينيها، أحكمت الغطاء حولها وخرجت أبحث عن أمي وأبي فلا أجدهما، لازالت رائحة الخبز تملأ المكان ولازال التفاح مكانه في الكيس الورقي، لكني أتذكر أنهما رحلا منذ زمن ما قبل الكورونا؛ فأحمد الله كثيراً كنت سأخاف عليهما.

يطلق جهاز الضغط صافرة طويلة فيأتي الطبيب يضع المزيد من الحقن في الوريد، أتذكر فاطمة التي تركتها نائمة.. الطعام الذي وضعته ينضج على النار.. الغسيل الذي أودعته في الشمس ليجف منذ ثلاثة أيام.. القمامة التي لم أتخلص منها.. الرواية الجديدة التي كتبتها ولم أضع لها نهاية.. أتذكر ابنتي الكبيرة التي لا تعرف كيف تغسل المواعين.. وابني الذي لا يأكل سوى الطعام الذي أصنعه له خصيصاً.. أركض أبحث عنهم أجدهم يجلسون في الصالة يبكون.. أمسح دموعهم أحضنهم لكنهم مستمرون في البكاء فأختنق أتركهم وأذهب إلى صديقتي أمل لأحكي لها عن مشاكلي التي لا تنتهي، لا أجدها فأعود إلى جهاز التنفس بعد أن أشعر بالضيق، فيأتون يربطون أطرافي الأربعة يثبتون جسدي في الفراش الحديدي، أصوات.. نداء.. همهمات.. صراخ.. همس.. طنين يصم أذني.. أصحو مذعورة أتناول المزيد من المسكنات أشعر بقطار يمر من فوق جسدي جيئة وذهاباً.. أرتجُّ أهتزُّ.. فأريد النوم وأنا أحكي لفاطمة حكاية ما قبل النوم:

"كان في أم تحب ابنتها الصغيرة جداً، لكن الأم مرضت وانعزلت عن أولادها وعن كل العالم لأنّ المرضَ معدٍ..."

فتنام فاطمة وينام كل أولادي وينام أبي وتنام أمي، وأنام لا أدري عدد الساعات التي نمتها وكلما استيقظت أشعر بهم ينشرون جسدي بمنشار حديدي صدئ.

لا ندري من أين تأتي الطعنة

تتوالى الطعنات تلو الطعنات والصفعات تتبعها الصفعات ممن نحب وممن لا نعرفهم سوى مصادفة!!

القلب المحمل بالوجع لم يعد يحتمل، الجسد الذي أنهكه الضغط والسكر لم يعد يقاوم.

-حتى أنت يا محمود؟

يا من ربيتك مثل ولدي بعد موت أمك.. يا من أحببتك كابني الذي لم أنجبه تأتيني اللطمة منك!!

هل تكابر أم تريد أن تقنع نفسك بأنني لم أساعدك كما كان ينبغي وأنني لم أضحَ كأمك الحقيقية؟

لازلت صغيراً يا ولدي لا تعرف من الحياة ما يكفي لأن تفهمني، فأنا لم أتزوج أبيك إلا لأربيك، أحببت وجهك الجميل وبراءة عينيك وقلت لنفسي إنك هدية الله لي بعد كثرة الدعاء، احترمت أبيك لأنه منحك لي بعد أن حُرمت من نعمة الإنجاب، سجدت شكراً لله عندما ناديتني بأمي.

كنت أراقب نموك كوردة وحيدة زرعتها في شرفتي، لا أنام إلا عندما تنام ولا آكل إلا بعدما تشبع ولا أهدأ إلا بعد رجوعك إلى البيت، لكن فقر

أبيك جعلك تتطلع لكسب المال، كان حلمك أن تكون رجل أعمال ناجح وقد تحقق يا ولدي بعد شقائك لسنوات طويلة وغربتك التي أتعبتني.
والآن لا تريد أن تعرفني!! هل ضاق صدرك فلا تستطيع أن تحضنني لأروي ظمأ شوقي إليك؟؟ أم غُشيت عيناك فلا تستطيع أن تلاحظ دموعي؟؟
وحين جئت أبحث عنك أخبرني العاملون في شركتك أنك مسافر.. أتنكر وجودك مني أم تخجل من زوجتك الثرية فلا تريدها أن تراني!!!
بخطوات ثقيلة أنسحب من المكان وأنا ألمح سيارتك المميزة تقف أمام الباب.
النفس المليئة بالانكسارت لم تعد تحتمل المزيد، عندما يعلو المال فوقنا نصير نحن البشر بلا شأن.. تتلاشى كل الذكريات وكل الحقائق ولا يتبقى سوى رغبة تحقيق الذات.
-من أين لك بتلك القسوة ؟؟
سأظل أدعو لك حتى أموت وإن هداك الله فلتأتِ عند قبري لأملأ روحي من وجهك الذي لم يعد جميلاً.

****

شعاع

في ذلك الوقت من كل عام حيث تتكاثر الأزهار وتخضر الأشجار وحيث تهب الخماسين ويصبح الجو في حالة هياج فالصباح خريف والظهر صيف والليل شتاء.. في هذا الوقت أُصاب بالاختناق ويلازمني ضيق التنفس والسعال المتقطع؛ ربما يكون أثراً لمرض قديم أصابني في الصغر، وربما يكون ثورة تقلبات الفصول، لكن هذا العام كان أشد الأعوام ثقلاً على نفسي، فقد مرض زوجي ولازم الفراش لشهور عديدة فوجدت نفسي مسؤولة عنه كطفل لم يتعلم الحبو بعد، لم يكن يستطيع الاعتماد على نفسه في الطعام والشراب وتبديل الملابس والنهوض من الفراش، ذلك الغضروف اللعين سكن بين فقرات ظهره وأعجزه عن الحركة.

وكانت طفلتي التي لم تبلغ عامها الأول تُغار من أبيها فكلما رأتني أطعمه بكت بشدة معلنة عن حاجتها لي، وكلما رأتني أهتم به أعلنت ثورة الغضب؛ فانشغلت بما أنا فيه من رعاية زوجي ومحاولة إرضاء طفلتي، ولم يكن لديّ وقت لابني الكبير الذي كان في الثانوية العامة، عام الرعب والمصير، لم انتبه له إلا في يوم النتيجة لم يؤهله مجموعه للالتحاق بأي كلية من كليات القمة أو حتى تحت القمة.

كان هذا اليوم أصعب أيام حياتي فهو ابني الكبير حلمي الأول الذي تمنيت أن أراه مهندساً أو طبيباً أو يعمل في أي عمل مرموق، لكن ما ذنبه فقد ألقيت عليه مهام الرجال كفرس وحيد في صحراء أيامي.

بمجرد سماعي بالنتيجة تظاهرت بخروجي لقضاء بعض الحوائج، ثم أخذت أسير في الشوارع بلا هدف.. أبكي أحدث الأرصفة عن وجعي.. أتجاهل عيون المارة التي تتسأل بفضول عما بي لا أدري كم عبرت من الشوارع وكم مضى من ساعات وأنا في هذه الحالة حتى رأيت "هدى " جارتنا مريضة السرطان التي تقضي جُلَّ وقتها ما بين المستشفيات ومعامل التحاليل ومراكز الأشعة، كانت في طريقها لجلسة الكيماوي، لم أدرِ كيف ارتميت في أحضانها وبكيت بكل هذا المرار.. المسكينة كانت تظنني أبكي حزناً عليها، وقد تغير شكلها إلى هيكل عظمي ذي لسان لا يكف عن حمد الله على ما حدث لها:

-يا الله!!!

كانت مثالاً رائعاً لقوة النفس البشرية، أخذت تحدثني عن أجر البلاء وقيمة الصبر وارتقاء التحمل أخذت تحكي لي عن قصص السلف الصالح في الصبر، رغم ما هي فيه إلا أنها لم تيأس من رحمة الله وتأمل في الشفاء.

كنت على علم أن المرض تمكن من جسدها وأن نسبة شفائها تكاد تكون معدومة لكني تعجبت من الأمل الذي تحيا فيه.. هو أمل في الخالق

الذي لا حدَ لقدرته إنما أمره كن فيكون، كان هذا اللقاء العابر فارقاً في حياتي وحياة ابني كأن الله قد ساقها في طريقي ليرسل لي رسالة:

"لا تيأسي إن بعد العسر يسرا"

عدت إلى البيت وأنا في حالة هدوء نفسي أواسي زوجي وأُطمئن ابني، ثم جلست معه لنقرر ماذا بعد؟؟

كان ابني بارعاً في مجال الكمبيوتر؛ فاقترحت عليه أن يتفرغ لدراسة هذا المجال بالحصول على دورات تدريبية، استجاب للفكرة فقد وجدها مناسبة لإمكانيته، وبالفعل كان ينتقل من دورة إلى أخرى بنجاح هائل، وانتهت مدة التدريب بسرعة، ثم بدأ بعدها يقتحم سوق العمل في التصميم والبرمجة.

حدث هذا بعد أن ماتت "هدى" جارتنا، بعد أن استنفد جسدها كل محاولات التحمل.

كان الدرسُ قاسياً على نفسي لكني تيقنت أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها؛ فلو كان ابني قد التحق بأي كلية لما وصل إلى ما هو فيه من تفوق في عمله، وتيقنت أنّ الأيامَ مهما اشتدت ظلمتها فإن الله يرسل شعاع النور من حيث لا نعلم؛ فقد تعافى زوجي وكبرت طفلتي وأصبح لي لساناً ذاكراً لا يكف عن حمد الله والدعاء لهدى جارتنا.

****

السيرة الذاتية

-الاسم: عزة مصطفى عبد العال

-حاصلة على ليسانس آداب قسم لغة عربية سنة.

- تعمل مدرسة للمرحلة الثانوية.

-نشرت في بعض الصحف والمجلات مثل مجلة الثقافة الجديدة، جريدة البيان.

-نشرت في العديد من المواقع الإلكترونية مثل موقع ذاكرة صدى القصة المصرية ونادي القصة السعودي ورابطة كتاب القصة القصيرة على الفيس بوك والبيان بوست.

-حصلت على بعض الجوائز:

- جائزة دار السكرية في القصة القصيرة.

-جائزة مجلة فن السرد.

-جائزة دار ملتقى النيل للقصة القصيرة.

-جائزة دار لوتس للرواية القصيرة عن رواية عندما يُعشق الزيتون.

-صدر لها:

-رواية الأطفال مرآة العقل عن دار محطة مصر.

-صدر مجموعة قصصية التدفق في عروق الذاكرة عن دار لوتس للنشر الحر.

-صدر لها رواية عندما يُعشق الزيتون عن دار لوتس للنشر الحر.

-رواية صحفية على هامش الحب عن دار لوتس للنشر الحر.

-رواية العالم متر في متر عن دار لوتس للنشر الحر.

-مجموعة قصص للأطفال مطعم سوسو عن دار مجلة المنى.

-قصة أطفال الدجاج والثعبان عن دار ماهي.

- رواية طائرة الأحلام عن الهيئة العامة للكتاب.

****

محتويات الكتاب

إهداء	5
انتحار الحلوى القطنية	6
دقات الساعة	9
الحقيقة تحت المطر	12
التلاشى داخل الجرح	15
حين توقف القطار	17
القنطرة	19
الحافلة الأخيرة	22
الموت ينتظر خلف الباب	25
مذاق الذكريات	28
ضجيج	30
البخيل	33
يوم فى حياة آلة عاملة	35
أخر ما تبقى من الأثاث	37
صرخة	39

قلم كحل	41
مرثيات أم	43
ثنائية الألم	45
شرخ فى الجدار	47
ليلة العيد	49
لحظة فارقة	51
عرض	54
معركة القسوة	56
المصيدة	59
حادث	61
سبقتنى إلى الجنة	63
طرق فى منتصف الليل	65
حلم يوم مطير	68
تنويعة	70
ربما كان مثلهم	72
ثورة الطماطم	73
النزع الأخير للضرس	75

الدفاتر القديمة	77
مرايا الطفولة	79
لازالت تنتظر	81
محاضرة	85
الخياطة	91
من يستغن يغنيه الله	93
جدائل الخيانة	96
هلوسات كورونا	98
لا ندرى من أين تأتى الطعنة	101
شعاع	103
السيرة الذاتية	106
محتويات الكتاب	108

تمت بحمد الله

التلاشي داخل الجرح

مجموعة قصصية

عزة مصطفى

الطبعة الأولى
1442 هـ 2020 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com